قطف الجنى الداني

شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

تأليف

عبد المحسن بن حَمَد العبَّاد البدر

الحمـدُ للـه ربِّ العـالمين، الرَّحمـن الرَّحيـم، مالكِ يوم الدِّين، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له، إلهُ الأوّلِين والآخِرين، وقيُّومُ السَّموات والأرَضِين، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، سيِّدُ المرسلِين، وإمامُ المتّقين، وقائدُ الغُرِّ المحجَّلين، المبعوث رحمةً للعالمين، صلّى اللهُ وسلّم وبارك عليـه، وعلـى آلـه الطيّـبين الطّـاهرين، وأصـحابِه الغُرِّ الميامين، الذين حفظ اللهُ بهم المِلَّةَ، وأظهر الـدّين، وعلـى مَـن اتَّبعهـم بإحسـانٍ وسـار علـى نهجهم إلى يوم الدّين.

أمَّا بعد، فإنَّ عقيدةَ أهل السنَّة والجماعة تمتازُ بالصّفاءِ والوضوحِ والخلوِّ مِن الغموض والتعقيـد، وهي مستمدَّةٌ مِن نصـوصِ الـوحي كتابـاً وسـنَّةً، وكان عليهـا سـلفُ الأمّـة، وهـي عقيـدةٌ مطابقـةٌ للفطـرة، ويقْبَلُهـا العقـلُ السـليمُ الخـالي مِـن أمراضِ الشُّبهات، وذلـك بخلاف العقائـد الأخـرى المتلقَّـاةِ مِـن آراء الرِّجـال وأقـوالِ المتكلِّميـن، ففيها الغموضُ والتعقيدُ والخبطُ والخلـط، وكيـف لا يكون الفرقُ كبيراً والبَونُ شاسـعاً بيـن عقيـدةٍ

نزل بها جبريلُ مِن الله إلى رسولِه الكريم ﷺ وبين عقائد متنوِّعة مختلفة خرج أصحابُها المبتدعون لها مِن الأرض، وخلقهم اللهُ من ماءٍ مهينٍ.

فعقيدةُ أهل السنَّة والجماعة بَدَتْ وظهرتْ مع بعثة النَّبِيِّ ﷺ ونزولِ الوحي عليه مِن ربِّه تعالى، وسار عليها الرسول ﷺ وأصحابُه الكرام ومَن تبعهم بإحسان، والعقائدُ الأخرى لا وجود لها في زمن النبوَّة، ولم يكن عليها الصحابةُ الكرام، بل قد وُلد بعضُها في زمانهم، وبعضُها بعد انقراض عصرهم، وهي مِن محدثاتِ الأمور التي حذّر منها الرسولُ ﷺ، فقال: « وإيّاكم ومحدَثاتِ الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدَثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة »، وليس مِن المعقول ولا المقبول أن يُحجب حقٌّ عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، ويُدَّخَر لأُناسٍ يجيئون بعد أزمانهم، فتلك العقائد لو كان شيءٌ منها خيراً لسبق إليه الصحابةُ، ولكنَّها شرٌّ حفِظهم اللهُ منه، وابتُليَ به مَن بعدَهم.

والحقيقة الواضحة الجليَّة أنَّ الفرقَ بين عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة المتلقَّاة من الوحي،

وبين عقائد المتكلِّمين المبنيَّة على آراء الرجال وعقولهم، كالفرق بين الله وخَلقه، ومثل ذلك ما يكون به القضاء والحكم، فإنَّه يُقال فيه: إنَّ الفرقَ بين الشريعة الإسلامية الرفيعة المنَزَّلة من الله على رسوله ﷺ، وبين القوانين الوضعيَّة الوضيعة التي أحدثها البشر، كالفرق بين الله وخَلقه، [illegible]، فما بال عقول كثير من الناس تغفلُ عن هذه الحقيقة الواضحة الجليَّة فيما يُعتقد، والحقيقة الواضحة الجليَّة فيما يُحكم به، فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟!

اللهمَّ اهْد مَن ضلَّ من المسلمين سُبُلَ السلام، وأخرجه من الظلمات إلى النور، إنَّك سميعٌ مجيب.

وقد ألَّف علماءُ السنَّة قديماً وحديثاً مؤلَّفاتٍ تُوَضِّح عقيدةَ أهل السنَّة والجماعة، منها ما هو مختصَرٌ، ومنها ما هو مطوَّلٌ، وكان مِن بين هذه المختصرات مقدِّمةُ الإمام ابنِ أبي زيد القيرواني المالكي لرسالته، ومقدِّمةُ رسالته على طريقة السلف مختصَرةٌ مفيدة، والجمعُ بين الأصول

والفروع في كتاب واحد نادرٌ في فعل المـؤلِّفين، وهو حَسَن، يجعـل المشـتغلَ فـي فقـه العبـادات والمعاملات على علـمٍ بـالفقه الأكـبر، الـذي هـو العقيدةُ على طريقة السلف.

وهي مع وَجازَتها وقلَّـة ألفاظهـا تـبيِّن بوضـوحٍ العقيدةَ السليمة المطابقة للفطرة، المَبنيّة علـى نصـوص الكتـاب والسـنّة، وهـي شـاهدٌ واضـحٌ للمَقولة المشهورة: إنَّ كلامَ السّـلف قليـلٌ كـثيرُ البركة، وكلام المتكلِّمين كثيرٌ قليلُ البركة.

ومِن أمثلة مـا فـي هـذه المقدِّمـة مِـن النَّفـي المتضمِّن إثباتَ كمالٍ لله تعالى قولُه فـي مطلـع هذه المقدِّمة: « إنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيـرُه، ولا شبيهَ له، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ لـه، ولا صاحبةَ له، ولا شريكَ له ».

فإنَّ هذه المنفيّات عن الله عزَّ وجلَّ مسـتمَدَّةٌ مِن الكتاب والسنّة، وهذا بخلاف النّفـي فـي كلام المتكلِّميـن، فـإنَّه مبنـيٌّ علـى التّكلُّـف، ومتّصـفٌ بالغموض، ومِن أمثلـة ذلـك م ا جـاء فـي العقائ د النسفيّة قول مؤلِّفها: « ليس بعَـرض، ولا جسـم، ولا جوهر، ولا مصوّر، ولا محـدود، ولا معـدود، ولا متبعّض، ولا متجَزّ، ولا متركّب، ولا متناه ».

وهذه المنفيّات لَم يأت بالنَّصِّ عليها كتابٌ ولا سنّة، والواجبُ السّكوتُ والإمساكُ عمَّا لم يدلَّ عليه دليلٌ مِ ن الوحي، واعتقاد أنَّ اللهَ متَّصِ ف بكلِّ كمالٍ، منَزَّهٌ عن كلِّ نقصٍ، ومثلُ هذه السلوب لا يفهمها العوامُّ، ولا تطابق الفطرةَ التي هم عليها، وهي مِن تكلُّف المتكلِّمين، وفيها غموضٌ وتلبيسٌ؛ يتّضح ذلك بالإشارة إلى واحدٍ منها، وهو نفيُ الجسم، فإنَّه يحتمل أن يُراد به ذاتٌ مشابهة للمخلوقات، وعلى هذا الاحتمال يُردّ اللفظُ والمعنى جميعاً؛ لأنَّ اللهَ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وإن أُريد به ذاتٌ قائمةٌ بنفسها، مباينةٌ للمخلوقات، متّصفةٌ بصفات الكمال، فإنَّ هذا المعنى حقٌّ، ولا يجوز نفيُه عن الله، وإنَّما يُردّ هذا اللفظ لاشتماله على معنى حقّ ومعنى باطل.

وسيأتي في كلام المقريزي (ص: 14، 15) قولُه عن الصحابة:

« فأثبتوا رضي الله عنهم بلا تشبيه، ونزّهوا مِن غير تعطيل، ولم يتعرّض مع ذلك أحدٌ منهم إلى تأويل شيء مِن هذا، ورأوا بأجمعهم إجراءَ الصفات كما وردت، ولم يكن عند أحدٍ منهم ما

يستدلُّ به على وحدانيَّة الله تعالى وعلى إثبات نبوَّة محمّد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحدٌ منهم شيئاً مِن الطرق الكلامية ولا مسائل الفلسفة ».

وسيأتي أيضاً في كلام أبي المظفّر السمعاني (ص:16) قولُه في بيان فساد طريقة المتكلِّمين: « وكان مِمَّا أمر بتبليغه التوحيد، بل هو أصلُ ما أمرَ به فلم يترك شيئاً من أمور الدِّين أصولَه وقواعدَه وشرائعَه إلاَّ بلَّغه، ثمَّ لَم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تَمسَّكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرفٌ واحدٌ فما فوقه، فعُرف بذلك أنَّهم ذهبوا خلافَ مذهبهم وسلكوا غيرَ سبيلهم بطريق مُحدَث مُخترَع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابُه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العودُ على السلف بالطعن والقَدْح، ونسبتهم إلى قلَّة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنَّها سريعةُ التهافت كثيرةُ التناقض »، وقولُ أبي المظفّر السمعاني هذا أورده الحافظ ابن حجر في كتاب فتح الباري في شرح قول البخاري: « باب قول الله تعالى:

[illegible]))، ونقل فيه (13/504) عن الحسن البصري قال: ((لو كان ما يقول الجعد حقاً لبلّغه النَّبِيُّ ﷺ)).

والجعد بن درهم هو مؤسِّس مذهب الجهميّة، ونُسب الجهمية إلى الجهم بن صفوان؛ لأنَّه هو الذي أظهر هذا المذهب الباطل ونشره، وأقول كما قال الحسن البصري رحمه الله: لو كان ما يقوله الأشاعرة وغيرهم من المتكلِّمين حقاً لبلَّغه الرسول ﷺ.

وقد رأيتُ أن أشرح هذه المقدِّمة شرحاً يزيد في جلائها ووضوحها، ويُفصِّل المعاني التي اشتملت عليها، ورأيتُ أن أمهِّد لهذا الشّرح بذكر عشر فوائد في عقيدة السّلف، وقد نظَم الشيخُ أحمد بن مشرّف الأحسائي المالكي المتوفَّى سنة 1285هـ مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني نظْماً بديعاً سلِساً، رأيتُ مِن المناسب إثباته مع نصِّ المقدِّمة قبل البدء بالشّرح.

وقد سَمَّيت هذا الشرح:

قطف الجنى الداني

شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد

القيرواني

وأسأل اللهَ عزَّ وجلَّ أن ينفع به كما نفع بأصله، وأن يوفِّق المسلمين للفقه في دينهم، والسَّير على ما كان عليه سلفُهم، في العقيدة والعمل، وأن يُوفِّقنِي للسلامة من الزَّلَل، ويَمنَحنِي الصِّدقَ في القول والإخلاصَ في العمل، إنَّه سميعٌ مجيب، وصلّى اللهُ وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ترجمة مختصرة لابن أبي زيد القيرواني

هو عبد الله أبو محمد بن أبي زيد، واسم أبي زيد عبد الرحمن، سكن القيروان، وكان إمامَ المالكية في وقته وقُدوتَهم، وجامعَ مذهب مالك، وشارحَ أقواله، وكان واسعَ العلم كثيرَ الحفظ والرواية، وكُتُبُه تشهدُ له بذلك، فصيحَ القلم، ذا بيان ومعرفة بما يقوله، بصيراً بالردِّ على أهل الأهواء، يقول الشِّعرَ ويُجيدُه، ويجمع إلى ذلك صلاحاً تامًّا وورعاً وعفَّةً، وحاز رئاسةَ الدِّين والدنيا، وإليه كانت الرِّحلةُ من الأقطار، ونجب أصحابُه وكَثُر الآخذون عنه.

وعرف قدرَه الأكابرُ، وكان يُعرف بمالك الصغير، قال فيه القابسي: ((هو إمامٌ موثوقٌ به في ديانته وروايته))، واجتمع فيه العلمُ والورعُ والفضلُ والعقل، شُهرته تُغنِي عن ذِكره، وكان سريعَ الانقياد والرجوع إلى الحقِّ، تفقَّه بفقهاء بلده وسمع من شيوخها، وعوَّل على أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل القيسي، وسمع منه خلقٌ كثيرٌ وتفقَّه به جلَّة، وكانت وفاته سنة (386 هـ)، له كتاب النوادر والزيادات على المدونة، مشهور أزيد من مائة

جزء، وكتاب مختصر المدونة مشهور أيضاً، وعلى كتابيه هذين المعـوَّل فـي التفقـه، ولـه الرسـالة، وغيرهـا مـن المؤلَّفـات الكـثيرة المـذكورة فـي الديباج المذهب لابن فرحون المـالكي (ص:136 - 138).

وكلُّ ما مرَّ منقول باختصـار مـن هـذا الكتـاب، قال فيه الذهبي في أوَّل ترجمته فـي سـير أعلام النبلاء (17/10): « الإمام العلاَّمةُ القُدوة الفقيه، عالم أهل المغرب ».

وقال في آخرهـا: « وكـان - رحمـه اللـه - علـى طريقة السـلف فـي الأصـول، لا يـدري الكلامَ ولا يتأوَّل، فنسأل الله التوفيق ».

فوائد بين يدي الشرح

الفائدة الأولى:

منهج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة: اتِّباعُ الكتاب والسُّنةَّ على فهم السلف الصالح

عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة مبنيَّةٌ على الدليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]، وقال ﷺ في حديث العرباض بن سارية: ((... فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تَمسَّكوا بها، وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة)) رواه أبو داود (4607)، والترمذي (2676) وغيرهما، وهذا لفظ أبي داود، وقال الترمذي: ((حديث حسن صحيح)).

وفي صحيح البخاري (7280) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((كلُّ أمَّتِي يدخلون الجنَّة إلاَّ مَن أبى، قالوا: يا رسول الله! ومَن يأبَى؟ قال: مَن أطاعنِي دخل الجنَّة، ومَن عصانِي فقد أبَى)).

وفي صحيح مسلم (767) عن جابر بن عبد الله: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول في خطبته: ((أمَّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وكلَّ بدعة ضلالة)).

وروى البخاري في صحيحه (1597)، ومسلم في صحيحه (1270) عن عابس بن ربيعة، عن عمر ﷺ: « أنَّه جاء إلى الحجر الأسود فقبَّله، فقال: إنِّي لأعلمُ أنَّك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيتُ النَبِيَّ ﷺ يُقبِّلُك ما قبَّلتُك ».

وروى البخاري في صحيحه (2697)، ومسلم في صحيحه (1718) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ »، وفي لفظ لمسلم: « مَن عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ ».

وما جاء في هذه الرواية أعمُّ من الأُولى؛ لأنَّها تشتمل على مَن كان مُحْدِثاً أو تابعاً لمُحْدث.

وروى الإمام أحمد (16937)، وأبو داود (4597) وغيرُهما - واللفظ لأحمد - عن معاوية ﷺ قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: « إنَّ أهلَ الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّةَ ستفترق على ثلاث وسبعين ملَّة يعني الأهواء، كلُّها في النار إلاَّ واحدة، وهي الجماعة ».

وانظر تخريجه وشواهدَه في تعليق الشيخ شعيب الأرنؤوط وغيره على هذا الحديث في

حاشية المسند.

وروى البخاري في صحيحه (5063)، ومسلم في صحيحه (1401) عن أنس في حديث طويل، آخره: « فمَن رغب عن سُنَّتِي فليس منِّي ».

وإنَّما كانت عقيدةُ أهل السنَّة والجماعة مبنيَّةً على الكتاب والسنَّة؛ لأنَّ ما يُعتقد هو من علم الغيب، ولا يُمكن معرفة ذلك إلاَّ بالوحي كتاباً وسنَّة.

وما جاء في الكتاب العزيز وثبت في السُنَّة فإنَّ العقلَ السليم يُوافقه ولا يُعارضه، ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كتاب واسع اسمه: درء تعارض العقل والنقل.

والمعوَّل عليه في فهم النصوص ما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ وما جاء عنهم من الفهم الصائب والعلم النافع، وقد فهموا معاني ما خوطبوا به من صفات الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الكتاب والسُّنَّة بلغتهم، مع تفويضهم علم كيفياتها إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ هو سبحانه، كما جاء عن الإمام مالك بن أنس في بيان هذا المنهج الصحيح، حيث قال عندما سُئل عن كيفية الاستواء: « الاستواءُ معلومٌ،

والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».

وقد أوضح ما كان عليه الصحابةُ في صفات الله عزَّ وجلَّ الشيخ أبو العباس أحمد بن علي المقريزي المتوفى سنة (845 هـ) في كتابه المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (2/356)، فقال: « ذِكْرُ الحال في عقائد أهل الإسلام منذ ابتداء الملَّة الإسلامية إلى أن انتشر مذهب الأشعرية: اعلم أنَّ الله تعالى لَمَّا بعث من العرب نبيَّه محمداً ﷺ رسولاً إلى الناس جميعاً وصف لهم ربَّهم سبحانه وتعالى بما وصف به نفسَه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه ﷺ الروحُ الأمين، وبما أوحى إليه ربُّه تعالى، فلم يسأله ﷺ أحدٌ من العرب بأسرهم قرَويُّهم وبَدويُّهم عن معنى شيء من ذلك، كما كانوا يسألونه ﷺ عن أمر الصلاة والزكاة والصيام والحجِّ وغير ذلك مِمَّا لله فيه سبحانه أمرٌ ونهيٌ، وكما سألوه ﷺ عن أحوال القيامة والجنَّة والنار؛ إذ لو سأله إنسانٌ منهم عن شيء من الصفات الإلهية لنُقل كما نُقلت الأحاديث الواردة عنه ﷺ في أحكام الحلال والحرام، وفي الترغيب

والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن ونحو ذلك مِمَّا تضمَّنته كتبُ الحديث، معاجمها ومسانيدها وجوامعها، ومَن أمعن النَّظر في دواوين الحديث النَّبوي ووقف على الآثار السلفية، عَلِم أنَّه لَم يَرد قطُّ من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم - على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم - أنَّه سأل رسول الله ﷺ عن معنى شيء مِمَّا وصف الربُّ سبحانه به نفسَه الكريمة في القرآن الكريم وعلى لسان نبيِّه محمد ﷺ، بل كلُّهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات، نعم! ولا فرَّق أحدٌ منهم بين كونها صفةَ ذات أو صفةَ فعل، وإنَّما أثبتوا له تعالى صفات أزليَّة: من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام والعز والعظمة، وساقوا الكلام سوقاً واحداً، وهكذا أثبتوا - رضي الله عنهم - ما أطلقه الله سبحانه على نفسه الكريمة: من الوجه واليد ونحو ذلك، مع نفي مماثلة المخلوقين، فأثبتوا - رضي الله عنهم - بلا تشبيه، ونزَّهوا من غير تعطيل، ولم يتعرَّض مع ذلك أحدٌ منهم إلى تأويل شيء من

هذا، ورأوا بأجمعهم إجـراء الصـفات كمـا وردت، ولـم يكـن عنـد أحـد منهـم مـا يسـتدلُّ بـه علـى وحدانية الله تعالى وعلـى إثبـات نبـوَّة محمـد ﷺ سوى كتاب الله، ولا عرف أحـدٌ منهـم شـيئاً مـن الطـرق الكلاميـة ولا مسـائل الفلسـفة، فمضـى عصرُ الصحابة رضي الله عنهم على هذا، إلـى أن حدث في زمنهم القـولُ بالقـدر، وأنَّ الأمـرَ أنفـة، أي: أنَّ الله تعالى لم يُقدِّر على خلقه شيئاً مِمَّا هـم عليه ...)).

وهذا الذي أوضحه المقريزي هو ما كـان عليـه أصـحابُ رسـول اللـه ﷺ قبـل ظهـور الفـرق المختلفة، وقد قال ﷺ فـي حـديث العربـاض بـن سارية الذي مـرَّ ذكـرُه قريبـاً: ((فـإنَّه مَـن يعـش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديِّين الراشـدين، تمسَّـكوا بهـا وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحـدثات الأمـور؛ فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)).

وليس من المعقـول أن يُقـال فـي شـيء مـن مذاهب هذه الفرق المختلفـة فـي العقيـدة الـتي حدثت في أواخر عهد الصحابة وبعـده، كالقدريـة والمرجئة والأشاعرة وغيرها، ليس من المعقـول

أن يُقال في شيء من ذلك: إنَّه الحقُّ والصواب، بل الحقّ الذي لا شكَّ فيه هو ما كان عليه أصحابُ رسول الله ﷺ، ولو كان شيء من هذه المذاهب حقًّا لسبقوا إليه رضي الله عنهم وأرضاهم، فلا يُعقل أن يُحجب حقٌّ عن الصحابة ويُدَّخر لأناس يجيئون بعدهم، قال إبراهيم النخعي كما في جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/97): ((لَم يُدخَّر لكم شيءٌ خُبِّئَ من القوم لفضل عندكم)).

وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرحه باب قول الله تعالى: [illegible]

[illegible] كلاماً نفيساً لأبي المظفر السمعاني، فقال (13/507): ((واستدلَّ أبو المظفر بن السمعاني بآيات الباب وأحاديثه على فساد طريقة المتكلِّمين في تقسيم الأشياء إلى جسم وجَوهر وعرض، قالوا فالجسمُ ما اجتمع من الافتراق والجوهر ما حمل العرض، والعرض ما لا يَقوم بنفسه، وجعلوا الرُّوح من الأعراض، وردُّوا الأخبارَ في خَلق الرُّوح قبل الجسد والعقل قبل الخلق، واعتمدوا على حَدْسهم وما يؤدِّي إليه

نظرُهم، ثم يَعرضون عليه النصوصَ فما وافقه قبلوه وما خالفه ردُّوه، ثمَّ ساق هذه الآيات ونظائرَها من الأمر بالتبليغ، قال: وكان مِمَّا أمر بتبليغه التوحيد، بل هو أصلُ ما أمرَ به فلم يترك شيئاً من أمور الدِّين أصولَه وقواعدَه وشرائعَه إلاَّ بلَّغه، ثمَّ لَم يَدْعُ إلى الاستدلال بما تَمسَّكوا به من الجوهر والعرض، ولا يوجد عنه ولا عن أحد من أصحابه من ذلك حرفٌ واحدٌ فما فوقه، فعُرف بذلك أنَّهم ذهبوا خلافَ مذهبهم وسلكوا غيرَ سبيلهم بطريق مُحدَث مُخترَع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابُه رضي الله عنهم، ويلزم من سلوكه العودُ على السلف بالطعن والقَدْح، ونسبتهم إلى قلَّة المعرفة واشتباه الطرق، فالحذر من الاشتغال بكلامهم والاكتراث بمقالاتهم؛ فإنَّها سريعةُ التهافت كثيرةُ التناقض، وما من كلام تَسمعه لفرقة منهم إلاَّ وتَجدُ لخصومهم عليه كلاماً يوازنه أو يقاربه، فكلٌّ بكلٍّ مقابل، وبعضٌ ببعضٍ مُعارَض، وحسبُك من قبيح ما يلزم من طريقتهم أنَّا إذا جَرينا على ما قالوه وألزمنا الناسَ بما ذكروه لزِم من ذلك تكفيرُ العوَام جميعاً؛ لأنَّهم لا يعرفون إلاَّ الاتِّباعَ المجرَّد،

ولو عُرض عليهم هذا الطريـق مـا فهمـه أكـثرُهم فضلاً عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنَّما غايـة توحيدهم التزامُ ما وجدوا عليه أئمَّتَهم في عقائـد الدِّين والعـضُّ عليهـا بالنواجـذ، والمواظبـة علـى وظائف العبادات وملازمة الأذكار بقلـوبٍ سـليمة طاهرة عن الشُّبَه والشكوك، فـتراهم لا يَحيـدون عما اعتقدوه ولو قُطِّعوا إرَباً إرَباً، فهنيئاً لهم هـذا اليقين، وطوبى لهم هذه السلامة، فإذا كُفِّر هؤلاء وهم السواد الأعظم وجمهور الأمَّـة، فمـا هـذا إلاَّ طَـيُّ بِسـاط الإسـلام وهـدمُ مَنَـار الـدِّين، واللـه المستعان)).

وما جاء في كلام أبي المظفـر مـن ذِكـر خلـق العقل فيه نظر؛ قال ابن القيم فـي كتـابه المنـار المنيف (ص:50):ـ ((ونحن ننبِّه علـى أمـور كليَّـة يُعرف بها كون الحديث موضـوعاً)) إلـى أن قـال (ص:66):ـ ((ومنها أحاديث العقل، كلُّها كـذب ... وقال أبو الفتح الأزدي: لا يصحُّ في العقل حـديث، قاله أبو جعفر العقيلي وأبو حاتم ابن حبان، والله أعلم)).

وقـد نقـل الحـافظ ابـن حجـر فـي كتـابه فتـح الباري نقولاً عن جماعة مـن السـلف فـي إثبـات

الصفات من غير تشبيه أو تحريف أو تعطيل، وختم ذلك بكلام نفيس له، ومِمَّا قاله (13/407 - 408):ـ « وأخرج البيهقي من طريق أبي داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبةُ وحماد بنُ زيد وحماد بن سلمة وشريك وأبو عوانة لا يحدِّدون ولا يشبِّهون، ويروُون هذه الأحاديث ولا يقولون كيف، قال أبو داود: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرُنا.

وأسند اللاَّلكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلُّهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن وبالأحاديث التي جاء بها الثقاتُ عن رسول الله ﷺ في صفة الرَّبِّ من غير تشبيه ولا تفسير، فمن فسَّر شيئاً منها وقال بقول جهم فقد خرج عمَّا كان عليه النَبِيُّ ﷺ وأصحابُه وفارق الجماعةَ؛ لأنه وَصفَ الرَّبَّ بصفَة لا شيء.

ومن طريق الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعيَّ ومالكاً والثوريَّ والليث ابنَ سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة؟ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف.

وأخرج ابنُ أبي حاتم في مناقب الشافعي عن

يونس بن عبد الأعلى: سمعتُ الشافعيَّ يقول: لله أسماء وصفاتٌ، لا يَسَع أحداً رَدُّها، ومَن خالف بعد ثبوت الحجَّة عليه فقد كفر، وأمَّا قبل قيام الحجة فإنَّه يُعذر بالجهل؛ لأنَّ عِلمَ ذلك لا يُدرَك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبتُ هذه الصفات، ونَنفي عنه التشبيهَ، كما نفَى عن نفسه فقال: [illegible].

وأسند البيهقيُّ بسند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري، عن سفيان بن عيينة قال: كلُّ ما وَصف الله به نفسَه في كتابه فتفسيرُه تلاوتُه والسكوتُ عنه.

ومن طريق أبي بكر الضُّبَعي قال: مذهبُ أهل السنة في قوله [illegible] قال: بلا كيف، والآثارُ فيه عن السلف كثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال الترمذي في الجامع عَقب حديث أبي هريرة في النُزول: وهو على العرش كما وصفَ به نفسه في كتابه، كذا قال غيرُ واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات.

وقال في باب فضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتَوهَّم، ولا يُقال كيف، كذا

جاء عن مالك وابن عُيينة وابن المبارك أنَّهم أَمَرُّوها بلا كيف، وهذا قولُ أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأمَّا الجهميَّةُ فأنكروها، وقالوا هذا تشبيهٌ. وقال إسحاق بن راهويه: إنَّما يكون التشبيهُ لو قيل يدٌ كيَدٍ، وسَمعٌ كسمعٍ.

وقال في تفسير المائدة: قال الأئمةُ: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم: الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك.

وقال ابن عبد البر: أهلُ السُّنَّة مُجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسُّنَّة، ولم يُكَيِّفوا شيئاً منها، وأمَّا الجهميَّةُ والمعتزلةُ والخوارجُ فقالوا: مَن أقرَّ بها فهو مشبِّهٌ، فسمَّاهم مَن أقَرَّ بها مُعَطِّلةً.

وقال إمام الحرمين في الرسالة النظامية: اختلفت مسالكُ العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضُهم تأويلَها، والتزم ذلك في آي الكتاب وما يَصحُّ من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها وتفويضِ معانيها إلى الله تعالى، والذي نرتضيه رأياً ونَدين الله به عقيدةً اتِّباع سلف الأمَّة؛ للدَّليل القاطع على أنَّ إجماعَ الأمَّة حُجةٌ،

فلو كان تأويلُ هذه الظواهر حتماً لأوشكَ أن يكون اهتمامُهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصرُ الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتَّبَع. انتهى.

وقد تقدَّم النقلُ عن أهل العصر الثالث وهم فقهاءُ الأمصار، كالثوري والأوزاعي ومالك والليث ومَن عاصرهم، وكذا مَن أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يُوثَق بما اتَّفق عليه أهلُ القرون الثلاثة، وهم خيرُ القرون بشهادة صاحبِ الشريعة)).

وما جاء في كلام الجوينِي من أنَّ السَّلف يُفوِّضون معاني الصفات إلى الله عزَّ وجلَّ غير صحيح؛ فإنَّهم يُفوِّضون في الكيف، ولا يُفوِّضون في المعنى، كما جاء عن مالك رحمه الله، فقد سُئل عن كيفية الاستواء؟ فقال: ((الاستواء معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)).

* * *

الفائدة الثانية:

وَسَطيَّةُ أهل السنة والجماعة في العقيدة بين فرق الضلال

أمَّةُ نبيِّنا محمد ﷺ وَسَطٌ بين الأمم؛ فإنَّ اليهودَ والنصارى متضادُّون، فاليهود جَفَوا في الأنبياء حتى قتلوا من قتلوا منهم، والنصارى غَلَوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فجعلوه إلَهاً مع الله، وهذا من أمثلة تضادِّهم في الاعتقاد، ومن أمثلة تقابلهم في الأحكام أنَّ اليهودَ لا يُؤاكلون الحائضَ ولا يُجالسونها، والنصارى بضدِّهم؛ فإنّهم يُجامعونها.

وكما أنَّ هذه الأمَّة وسَطٌ بين الأمم، فإنَّ أهل السنَّة والجماعة وسَطٌ بين فرق هذه الأمة، فهم:

أوَّلا: وسَطٌ في صفات الله بين المعطِّلة والمشبِّهة؛ فإنَّ المشبِّهةَ أثبتوا، ولكنَّهم شبَّهوا ومثَّلوا، وقالوا: لله يدٌ كأيدينا، ووجه كوجوهنا، وهكذا، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيراً.

وأمَّا المعطِّلة، فإنَّهم تصوَّروا أنَّ الإثباتَ يستلزم التشبيهَ؛ ففرُّوا من الإثبات إلى التعطيل؛ تنْزيهاً لله عن مشابهة المخلوقين بزعمهم، لكن آل أمرُهم إلى أن وقعوا في تشبيه أسوأ، وهو التشبيه بالمعدومات؛ فإنَّه لا يُتصوَّرُ وجود ذات مجرَّدة من جميع الصفات.

وأمَّا أهل السُّنَّة والجماعة، فإنَّهم توسَّطوا بين هــؤلاء وهــؤلاء، فــأثبتوا بلا تشــبيه، ونَزَّهــوا بلا تعطيل، كما قال الله عزَّ وجـلَّ: ﴿ ﴾، فأثبتوا لله السَّمعَ والبصرَ كما أثبت الله ذلك لنفسـه، فلَـم يُعطِّلـوا، ومع إثباتهم نزَّهوا ولم يُشبِّهوا، فالمشبِّهةُ عنـدهم الإثبـات والتشـبيه، والمعطِّلـة عنـدهم التعطيـل والتَنْزيه، وأهـل السُّـنَّة عنـدهم الإثبـات والتنْزيـه، فجمعوا بين الحُسنيين: الإثبات والتنْزيه، وسَلِموا مـن الإسـاءتين: التشـبيه والتعطيـل، والمُعطِّلـةُ يَصفون أهلَ السُّنَّة زوراً أنَّهم مُشـبِّهة؛ لأنَّهـم لـم يتصــوَّروا إثباتــاً إلاَّ مــع التشــبيه، وأهــل السُّــنَّة يصفون المعطِّلة بأنَّهم نافون للمعبـود، قـال ابـن عبد البر في التمهيد (7/145): « وأمَّا أهل البدع والجهميــة والمعتزلــة كلُّهــا والخــوارج، فكلُّهــم يُنكرهــا، ولا يحمــل شــيئاً منهــا علــى الحقيقــة، ويزعمون أنَّ من أقرَّ بهـا مشـبِّه، وهـم عنـد مـن أثبتها نافون للمعبود ».

ونقلــه عنــه الــذهبي فــي العلــو (ص:1326)، وعلَّق عليه قائلاً: « صدق واللـه! فـإنَّ مـن تـأوَّل سـائر الصـفات وحمـل مـا ورد منهـا علـى مجـاز

الكلام، أدَّاه ذلك السَّلب إلى تعطيـل الـربِّ، وأن يشابه المعدوم، كما نُقل عـن حمـاد بـن زيـد أنَّـه قال: مَثل الجهمية كقوم قالوا: فـي دارنـا نخلـة، قيـل: لهـا سَـعَف؟ قـالوا: لا، قيـل: فلهـا كَـرَب؟ قالوا: لا، قيل: لها رُطَـب وقِنـو؟ قـالوا: لا، قيـل: فلها ساق؟ قالوا: لا، قيل: فما في داركـم نخلـة!)).

والمعنى أنَّ من نفى عـن اللـه الصـفات، فـإنَّ حقيقةَ أمره نفيُ المعبود؛ إذ لا يُتصوَّرُ وجــود ذات مجرَّدة من جميع الصفات.

ولهذا قال ابن القيـم فـي المقدمـة الـتي بيـن يـدي قصـيدته النونيـة: ((فالمشـبِّه يعبـدُ صـنماً، والمعطِّلُ يعبدُ عدماً، والموحِّـد يعبـدُ إلَهـاً واحـداً صـــــمداً،)).

وقال أيضـاً: ((قلـبُ المعطِّـل متعلِّـقٌ بالعـدم، فهو أحقـرُ الحقيـر، وقلـبُ المشـبِّه عابـدٌ للصـنم الذي قد نُحت بالتصوير والتقـدير، والموحِّـد قلبُـه متعبِّدٌ لِمَن ليس كمثله شيء وهو السَّميع البصير)).

ثانياً: وهم وسَطٌ في أفعال العباد بين الجبرية

الغلاة الذين ينفون عن العبد الاختيار، ويجعلون أفعالَه كحركات الأشجار، وبين القدرية النفاة الذين يجعلون العبدَ خالقاً لفعله، وينفون تقدير الله عليه، فأهل السنَّة والجماعة يُثبتون للعبد مشيئةً واختياراً، بهما يستحقُّ الثوابَ والعقابَ، لكن لا يجعلونه مستقلاًّ في ذلك، بل يجعلون مشيئتَه وإرادتَه تابعةً لمشيئة الله وإرادته، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وهو سبحانه وتعالى خالقُ العباد وأفعال العباد، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾.

ثالثاً: وهم وَسَطٌ في باب الوَعد والوعيد بين المرجئة الذين غلَّبوا جانبَ الوَعد وأهملوا جانبَ الوعيد، فقالوا: إنَّه لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفعُ مع الكفر طاعة، والخوارجِ والمعتزلة الذين غلَّبوا جانبَ الوعيد وأهملوا جانبَ الوعد، فجعلوا مرتكبَ الكبيرة خارجاً من الإيمان في الدنيا، خالداً مخلَّداً في النار في الآخرة، فأهلُ السُّنَّة والجماعة أعمَلوا نصوصَ الوعد ونصوصَ الوعيد معاً، وجعلوا مرتكبَ الكبيرة ليس خارجاً من الإيمان في الدنيا، وفي الآخرة أمرُه إلى الله، إن

شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، وإذا عذَّبه فإنَّه لا يُخلِّده في النار كما يخلِّدُ فيها الكفار، بل يُخرجُ منها ويُدخل الجنَّة.

رابعاً: وهم وَسَطٌ في باب أسماء الإيمان والدِّين بين المرجئة الذين فرَّطوا، فجعلوا العاصيَ مؤمناً كاملَ الإيمان، وبين الخوارج والمعتزلة الذين أفرَطوا فأخرجوه من الإيمان، ثمَّ حكمت الخوارجُ بكفره، وقالت المعتزلة: إنَّه في منْزلة بين المنْزلتين، فأهل السُّنَّة وصفوا العاصيَ بأنَّه مؤمنٌ ناقصُ الإيمان، فلَم يجعلوه مؤمناً كاملَ الإيمان، كما قالت المرجئة، ولم يجعلوه خارجاً من الإيمان كما قالت الخوارجُ والمعتزلة، بل قالوا: هو مؤمن بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، فلَم يُعطوه الإيمانَ المطلق، ولم يسلبوا عنه مطلقَ الإيمان، ويجتمع في العبد إيمانٌ ومعصيةٌ وحبٌّ وبُغضٌ، فيُحَبُّ على ما عنده من الإيمان، ويُبغَضُ على ما عنده من الفسوق والعصيان، وهو نظير الشيب الذي يكون محبوباً إذا نُظر إلى ما بعده وهو الموت، وغير محبوب إذا نُظر إلى ما قبله وهو الشباب، كما قال الشاعر:

الشيبُ كرهٌ وكرهٌ أن نفارقَه فاعْجب لشيءٍ على البغضاءِ محبوب

خامساً: وهم وَسَطٌ بين الخوارج الذين كفَّروا عليًّا ومعاوية رضي الله عنهما ومن معهما وقاتلوهم واستحلُّوا أموالَهم، وبين الروافض الذين غَلَوا في عليٍّ وفاطمةَ وأولادهما رضي الله عنهم، وجَفَوا في حقِّ أكثر الصحابة، فأبغضوهم وسَبُّوهم، فأهل السُّنَّة يُحبُّون الصحابةَ جميعاً ويوالونهم ويُنْزلونهم منازلَهم ولا يقولون بعصمتِهم، وقد قال الطحاويُّ في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: ((ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبَرَّأ من أحدٍ منهم، ونُبغضُ مَن يُبغضهم، وبغير الخير يَذكرهم، ولا نذكرُهم إلاَّ بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان)).

ففي قوله رحمه الله: ((ونحبُّ أصحابَ رسول الله)) سلامة أهل السُّنَّة من الجفاء، وفي قوله: ((ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهم)) سلامتهم من الغلُوِّ، أي: ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، فلسنا جُفاةً، ومع حبِّنا لهم فلسنا غلاةً.

وقد أجمل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله

ـ هـذه الأمـور الـتي أهـل السُّـنَّة والجماعـة فيهـا وَسَـطٌ بيـن فـرق الضـلال، فـي كتـابه العقيـدة الواسـطية، فقـال (ص:107 ـ 113): « فهـم وَسَطٌ في باب صفات الله سـبحانه وتعـالى بيـن أهل التعطيل الجهميـة وأهـل التمثيـل المشـبِّهة، وهـم وَسَـطٌ فـي بـاب أفعـال اللـه بيـن الجبريـة والقدريـة وغيرهـم، وفـي بـاب وعيـد اللـه بيـن المرجئة والوعيدية مـن القدريـة وغيرهـم، وفـي بـاب أسـماء الإيمـان والـدِّين بيـن الحروريـة والمعتزلـة، وبيـن المرجئـة والجهميـة، وفـي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج ».

* * *

الفائدة الثالثة:

عقيدة أهل السُّـنَّة والجماعـة مطابقـةٌ للفطرة

روى البخـاري فـي صـحيحه (1385) ومسـلم فـي صـحيحه (2658) ـ واللفظ للبخاري ـ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النَبِيُّ ﷺ: « كلُّ مولود يُولَد على الفطـرة، فـأبواه يُهوِّدانه أو يُنصِّرانه أو يُمجِّسانه ... » الحديث.

وفي صحيح مسلم (2865) من حديث عيـاض

بن حمار المجاشعي ﷺ: ((... وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاء كلّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً)) الحديث.

وهذان الحديثان يدلاَّن على أنَّ دينَ الإسلام هو دينُ الفطرة، وعقيدةَ أهل السُّنَّة والجماعة مطابقةٌ للفطرة، ولهذا جاء في حديث معاوية بن الحكم السلمي ﷺ في صحيح مسلم (537) في قصة جاريته، وفيه أنَّه قال: ((أفلا أُعتقها؟ قال: ائتنِي بها، فأتيتُه بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال: مَن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، قال: اعتقها فإنَّها مؤمنة)).

فهذه الجاريةُ بفطرتها أجابت بأنَّ الله في السماء، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، والمراد بالسماء العلو، أو تكون (في) بمعنى (على) كما في قوله تعالى: [illegible] أي: على جذوع النخل.

وأمَّا الذين ابتُلوا بعلم الكلام، فإنَّهم يقولون: إنَّ علوَّ الله عزَّ وجلَّ علُوُّ قدر وقهر، وأهلُ السَّنَّة والجماعة يقولون إنَّ علُوَّ الله عزَّ وجلَّ علُوُّ قدر وقهر وذات، وقد جاء عن بعض المتكلمين وغيرهم عباراتٌ تدلُّ على أنَّ السلامةَ والنجاةَ إنَّما هي في عقيدة العجائز المطابقة للفطرة، وقد نقل شارحُ الطحاوية عن أبي المعالي الجوينِي كلاماً ذمَّ فيه علمَ الكلام، وقال فيه عند موته: « وهَا أنا ذا أموت على عقيدة أمِّي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور ».

وفي ترجمة الرازي - وهو من كبار المتكلِّمين - في لسان الميزان (4/427): « وكان مع تبحُّره في الأصول يقول: من التزم دينَ العجائز فهو الفائز ».

وقال أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين في نصيحته لمشايخه من الأشاعرة (1/185 - مجموعة الرسائل المنيرية): « فمن تكون الراعية أعلم بالله منه لكونه لا يعرف وجهة معبوده، فإنَّه لا يزال مظلمَ القلب، لا يستنيرُ بأنوار المعرفة والإيمان ».

وروى ابن سعد في الطبقات بإسناد صحيح على شرط مسلم (5/374) عن جعفر بن بُرقان قال:

« جاء رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز فسأله عن شيء من الأهواء، فقال: الزَم دينَ الصبِيِّ في الكُتَّاب والأعرابيِّ، والْهُ عمَّا سوى ذلك »، وعزاه إليه النووي في تهذيب الأسماء واللغات (2/22).

* * *

الفائدة الرابعة:

الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، والقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر

أهل السُّنَّة والجماعة يُثبتون كلَّ ما أثبته اللهُ لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء والصفات على وَجه يليق بكماله وجلاله ، مِن غير تَكييف أو تَمثيل ، ومن غير تَعطيل أو تأويل، ويقولون لِمَن أثبت الذات ونفَى الصفات وهم الجهمية والمعتزلة: إنَّ الكلامَ في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات؛ فكما أنَّنا نُثبت لله ذاتاً لا تُشبه ذوات المخلوقات، فيجب أن نثبتَ كلَّ ما ثبت في الكتاب والسنة من الصفات دون أن يكون فيها مشابهةٌ للمخلوقات، ويقولون لِمَن أثبت بعضَ الصفات وأوَّل بعضَها، وهم الأشاعرة: القولُ في

بعضِ الصفات كالقول في البعض الآخر؛ فـإنَّ مـا أثْبَتَّ من الصفات على وجهٍ يليق بالله عزَّ وجـلَّ، يلزمك إثبات الباقي على هذا الوجه اللاَّئق بـالله، وانظر توضيح هذين الأصلين في كتـاب التدمريـة لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص:31 ـ 46).

* * *

الفائدة الخامسة:

السَّلفُ ليسوا مُؤوِّلةً ولا مُفوِّضة

من المعلوم أنَّ سلفَ هذه الأمَّة مـن الصـحابة وتـابعيهم بإحسـان يُثبتـون للـه مـا أثبتـه لنفسـه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، علـى وجه يليقُ بكماله وجلاله، فلا يُشبِّهون ولا يُعطِّلون ولا يُكيِّفـون، بخلاف طريقـة الخلـف، الـتي هـي التأويل لصفات الله عزَّ وجلَّ وصرفها إلـى معـان باطلـة، وبخلاف طريقـة المُفوِّضـة، الـتي زعـم المؤوِّلةُ أنَّها طريقةُ السَّلف، والتي يقولـون فيهـا عن صفات الله عزَّ وجلَّ: الله أعلـمُ بمـراده بهـا، وقد أوضحَ عقيـدةَ السـلف فـي الصـفات الإمـامُ مالكٌ ـ رحمه الله ـ في كلامه المشهور لَمَّـا سُـئل عن كيفيـة الاسـتواء، فقـال: « الاسـتواءُ معلـومٌ، والكيف مجهـولٌ، والإيمـان بـه واجـبٌ، والسـؤال

عنه بدعة)).

فهم لا يُفوِّضون في المعنى، وإنَّما يُفوِّضون في الكيفية، ومَن زعم أنَّ طريقةَ السلف من الصحابة ومن تبعهم تفويضٌ في معاني الصفات، فقد وقع في محاذير ثلاثة هي: جهله بمذهب السلف، وتجهيله لهم، والكذب عليهم.

أمَّا جهلُه بمذهب السلف؛ فلكونه لا يعلم ما هم عليه، وهو الذي بيَّنه الإمام مالكٌ في كلامه المتقدِّم.

وأمَّا تجهيله لهم، فذلك بنسبتهم إلى الجهل، وأنَّهم لا يفهمون معاني ما خوطبوا به، إذ طريقتُهم على زعمه في الصفات أنَّهم يقولون: الله أعلم بمراده بها.

وأمَّا الكذب عليهم، فإنَّما هو بنسبة هذا المذهب الباطل إليهم، وهم برآءُ منه.

* * *

الفائدة السادسة:

كلٌّ من المشبِّهة والمعطِّلة جمعوا بين التمثيل والتعطيل

المعطِّلةُ هم الذين نفوا صفات الله عزَّ وجلَّ، ولم يُثبتوها على ما يليق بالله، وشُبهتُهم أنَّ إثبات

الصفات يستلزم التشبيه؛ لأنَّهم لَم يتصوَّروا الصفات إلاَّ وفقاً لِما هو مشاهَد في المخلوقين، فجرَّهم ذلك التصوَّرُ الخاطئ إلى التعطيل، فكان ما وقعوا فيه أسوأَ مِمَّا فرُّوا منه؛ إذ كانت النتيجة أن يكون الله تعالى وتنَزَّه شبيهاً بالمعدومات؛ إذ لا يُتصوَّرُ وجود ذات خالية من الصفات.

ويتَّضح ذلك في صفة كلام الله عزَّ وجلَّ، فإنَّهم لَم يتصوَّروا من إثبات أنَّ الله يتكلَّم بحرف وصوت إلاَّ التشبيه بالمخلوقين؛ لأنَّه يلزَمُ من ذلك أن يكون كلامُه بلسان وحُنجرة وشفتين؛ لأنَّهم لا يعقلون ذلك إلاَّ في المخلوقين، وذلك التصوُّرُ الخاطئُ مردودٌ من وجوه:

الأول: أنَّه لا تلازمَ بين الإثبات والتشبيه؛ فإنَّ الإثبات يكون مع التشبيه، وهو باطلٌ لا شكَّ فيه، ويكون مع التنْزيه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: { [illegible] }، فأثبت السمعَ والبصرَ، ونفى مشابهة غيره له، وهذا هو اللاَّئق بكمال الله وجلاله، وهو الحقُّ الذي لا ريب فيه.

الثاني: أنَّ ما زعموه من أنَّ الإثباتَ يقتضي التشبيه، ومن أجله عطَّلوا الصفات، أدَّاهم ذلك

إلى التشبيه بالمعدومات، وهو أسوأ، وقد مرَّ في كلام بعض أهل العلم ما يُبيِّن ذلك، لا سيما ما عزاه الذهبي إلى حماد بن زيد من التمثيل بالنخلة، التي نفى أصحابُها كلَّ صفات النخل عنها، وقيل لهم: إذاً فما في داركم نخلة! وذلك في الفائدة الثانية.

الثالث: أنَّه قد وُجد في المخلوقات حصولُ الكلام على خلاف ما هو مشاهَدٌ في المخلوقين؛ فإنَّ ذراعَ الشاة التي وُضع فيها السُّمُّ للرسول ﷺ كلَّمته وأخبَرته بأنَّها مسمومةٌ، كما في سنن أبي داود (4510) و(4512).

وروى مسلم في صحيحه (2277) عن جابر بن سَمُرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إنِّي لأعرفُ حَجَراً بمكة كان يُسلِّمُ عليَّ قبل أن أُبعَث، إنِّي لأعرفه الآن ».

وهذا من كلام بعض المخلوقات في الدنيا، وأمَّا في الآخرة، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ ، وقال: ﴿ ﴾

[illegible]

أفَيُقال: إنَّ كلامَ الذِّراعِ والحجرِ والأيدي والأرجلِ لا يكون إلاَّ بلسان وشفتَين؟!

وإذا كانت هذه المخلوقات وُجد منها الكلام على وجه يُخالف ما هو مشاهَدٌ في المخلوقين، فإنَّه يجب إثبات الكلام لله عزَّ وجلَّ على وجه يليق بكماله وجلاله، دون أن يكون مشابهاً لأحد من خلقه.

وبهذا يتبيَّن أنَّ المعطِّلةَ جمعوا إلى التعطيل التشبيه، وأمَّا المشبِّهة فإنَّهم أثبتوا الصفات لله عزَّ وجلَّ، لكن جعلوه فيها مشابهاً للمخلوقات، وقد أضافوا إلى كونهم مشبِّهةً التعطيلَ، وذلك أنَّهم لم يُثبتوا الصفات على وجه يليق بالله عزَّ وجلَّ، وبذلك كانوا معطِّلة.

* * *

الفائدة السابعة:

متكلِّمون يَذمُّون علمَ الكلام ويُظهرون الحَيرة والنَّدم

عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مبنيَّةٌ على الدليل من كتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ وما كان عليه صحابتُه الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، فهي صافيةٌ نقيَّةٌ، واضحةٌ جليَّة، ليس فيها غموض ولا تعقيد، بخلاف غيرهم الذين عوَّلوا على العقول، وتأوَّلوا النقول، وبنَوا معتقداتهم على علم الكلام المذموم، الذي بيَّن أهلُه الذين ابتُلوا به ما فيه من أضرار، وندموا على ما حَصَلَ منهم من شغل الأوقات فيه من غير أن يظفروا بطائل، ولا أن يصلوا إلى حقٍّ، وفي نهاية أمرهم صاروا إلى الحيرة والنَّدَم، فمنهم من وُفِّق لتركه واتِّباع طريقة السَّلف، وجاء عنهم عيبُ علم الكلام وذمُّه.

فأبو حامد الغزالي - رحمه الله - من المتمكِّنين في علم الكلام، ومع ذلك فقد جاء عنه ذمُّه، بل والمبالغة في ذمِّه، ولا يُنبئك مثلُ خبير، جاء ذلك عنه في كتابه إحياء علوم الدِّين، حيث بيَّن ضررَه وخطرَه، فقال (ص:91 ـ 92)ـ « أمَّا مضرَّته، فإثارةُ الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مِمَّا يحصل في الابتداء،

ورجوعُها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص، فهذا ضررُه في الاعتقاد الحقِّ، وله ضررٌ آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتدُّ حرصُهم على الإصرار عليه، ولكن هذا الضرر بواسطة التعصُّب الذي يثور من الجدل)).

إلى أن قال: ((وأمَّا منفعتُه، فقد يُظنُّ أنَّ فائدَتَه كشفُ الحقائق ومعرفتُها على ما هي عليه، وهيهات؛ فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعلَّ التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف، وهذا إذا سمعته من محدِّث أو حشوي ربَّما خطر ببالك أنَّ الناسَ أعداءُ ما جهلوا، فاسمع هذا مِمَّن خَبَر الكلامَ ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه إلى منتهى درجة المتكلِّمين، وجاوز ذلك إلى التعمُّق في علوم أخر تناسبُ نوع الكلام، وتحقق أنَّ الطريقَ إلى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود، ولعمري لا ينفكُّ الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور في أمور جليَّة تكاد تفهم قبل التعمُّق في صنعة الكلام)).

وقد نقل شارحُ الطحاوية عنه هذا الكلام وغيرَه في ذمِّ علم الكلام (ص:236)، وقال (ص:238): « وكلامُ مثلِه في ذلك حجَّة بالغة ».

ثمَّ بيَّن شارح الطحاوية أنَّ السَّلفَ كرهوا علمَ الكلام وذمُّوه:

« لاشتماله على أمور كاذبة مخالفة للحقِّ، ومن ذلك مخالفتُها للكتاب والسُّنَّة، وما فيه من علوم صحيحة، فقد وعَّروا الطريقَ إلى تحصيلها، وأطالوا الكلامَ في إثباتها مع قلَّة نفعها، فهي لحمُ جَمل غثٍّ على رأس جبل وَعْر، لا سهلٌ فيُرتقى، ولا سمين فيُنتقل، وأحسنُ ما عندهم فهو في القرآن أصحُّ تقريراً وأحسن تفسيراً، فليس عندهم إلاَّ التكلُّف والتطويل والتعقيد ».

إلى أن قال: « ومن المحال أن لا يحصلَ الشِّفاءُ والهدى والعلمُ واليقين من كتاب الله وكلام رسوله، ويحصلُ من كلام هؤلاء المتحيِّرين، بل الواجب أنَّ يجعل ما قاله اللهُ ورسولُه هو الأصل، ويتدبَّر معناه ويعقله، ويعرف برهانَه ودليلَه، إمَّا العقلي، وإمَّا الخبري السَّمعي، ويعرف دلالته على هذا وهذا، ويجعل أقوال الناس التي توافقه وتخالفه متشابهة مجملة،

فيُقال لأصحابها: هذه الألفاظ تحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يُوافق خبر الرسول قُبل، وإن أرادوا بها ما يُخالفه رُدَّ)).

وقال أيضاً في (ص:243): ((قال ابن رُشد الحفيد – وهو من أعلم الناس بمذهب الفلاسفة ومقالاتهم – في كتابه تهافت التهافت: (ومَن الذي قال في الإلَهيات شيئاً يعتدُّ به؟)، وكذلك الآمدي – أفضل أهل زمانه – واقفٌ في المسائل الكبار حائر، وكذلك الغزالي – رحمه الله – انتهى آخرُ أمره إلى الوقف والحيرة في المسائل الكلامية، ثمَّ أعرض عن تلك الطرق، وأقبلَ على أحاديث الرسول ﷺ، فمات والبخاري على صدره، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، قال في كتابه الذي صنَّفه في أقسام اللذات:

نِهايةُ إقدام العقول ... وغايةُ سعي العالمين
عِقالُ ... ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من ... وحاصلُ دنيانا أذَى
جسومنا ... وبالُ
ولم نستفد من بحثنا ... سوى أن جمعنا فيه:
طول عمرنا ... قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ... فبادوا جميعاً

ودولةٍ ... مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد عَلَت شُرُفاتِها ... رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ

لقد تأمَّلتُ تلك الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتُها تشفي عليلاً، ولا تُروي غليلاً، ورأيتُ أقربَ الطرق طريق القرآن، اقرأ في الإثبات: [illegible]، واقرأ في النفي: [illegible]، ثم قال: (ومَن جرَّب مثلَ تجربَتِي، عرف مثل معرفتِي).

وكذلك قال الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، إنَّه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلاَّ الحيرة والندم، حيث قال:

لعمري لقد طُفت المعاهد كلها ... وسَيَّرتُ طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلاَّ واضعاً كفَّ حائر ... على ذقن أو قارعاً سنَّ نادم

وكذلك قال أبو المعالي الجويني رحمه الله: (يا أصحابنا! لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفتُ أنَّ الكلامَ يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلتُ به)، وقال عند موته: (لقد خضتُ البحرَ الخِضَمَّ، وخلَّيتُ أهل

الإسلام وعلومَهم، ودخلتُ في الذي نَهـونِي عنـه، والآن فإن لم يتداركنِي ربِّي برحمته، فالويل لابن الجوينِي، وها أنـا ذا أمـوت علـى عقيـدة أمِّـي، أو قال: على عقيدة عجـائز نيسـابور)، وكـذلك قـال شـمس الـدين الخسروشـاهي - وكـان مـن أجـلِّ تلامذة فخر الدِّين الرازي - لبعـض الفضـلاء، وقـد دخل عليه يوماً فقال: (ما تعتقد؟ قال: ما يعتقده المسلمون، فقـال: وأنـتَ مُنشـرح الصَّـدر لـذلك مسـتيقن بـه؟ أو كمـا قـال، فقـال: نعـم، فقـال: اشكر الله على هذه النِّعمـة، لكنِّـي - واللـه! - مـا أدري ما أعتقـد، - واللـه! - مـا أدري مـا أعتقـد! - والله! - ما أدري ما أعتقـد!) وبكـى حـتى أخضَـل لحيته.

ولابن أبي الحديد الفاضل المشهور بالعراق:

فيـــكَ يـــا أُغلوطـــة الفِكَـــــــــــــر حارَ أمري وانقضـى عمـــــــــــــري
سافرتْ فيك العقـولُ فمـــــــــــــا ربحـــــــت إلاَّ أذى الســـــــــفر
فلحـــى اللـــه الأُلـــى زعمـــــــــوا أنَّـــك المعـــروف بالنَّـــــــــظر
كـذبـــوا إنَّ الـــذي ذكـروا خــارجٌ عـــن قـــوة البشــر

وقال الخونجي عند موته: (ما عرفتُ مِمَّا حصَّلته شيئاً سوى أنَّ الممكن يفتقر إلى المرجِّح، ثم قال: الافتقار وصفٌ سلبِيٌّ، أموت وما عرفتُ شيئاً).

وقال آخر: (أضطجع على فراشي، وأضع الملحفةَ على وجهي، وأقابل بين حُجَج هؤلاء وهؤلاء حتى يطلع الفجر، ولم يترجَّح عندي منها شيء) ».

إلى أن قال شارح الطحاوية: « وتجد أحد هؤلاء عند الموت يرجع إلى مذهب العجائز، فيُقرُّ بما أقرُّوا به، ويُعرض عن تلك الدقائق المخالفة لذلك، التي كان يقطع بها ثمَّ تبيَّن له فسادُها، أو لم يتبيَّن له صحتُها، فيكونون في نهاياتهم - إذا سلموا من العذاب - بمنْزلة أتباع أهل العلم من الصبيان والنساء والأعراب ».

وكان أبو محمد الجوينِي والد إمام الحرمين في حيرة واضطراب في صفات الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ صار إلى مذهب السَّلف، وألَّف رسالة نُصح لبعض مشايخه من الأشاعرة، وهي مطبوعة ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (1/174 - 187).

الفائدة الثامنة:

هل صحيح أنَّ أكثرَ المسلمين في هذا العصر أشاعرة؟

الأشاعرة هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري، وهو علي بن إسماعيل المتوفى سنة (330هـ) رحمه الله، وقد مرَّ في العقيدة بثلاثة أطوار: كان على مذهب المعتزلة، ثم في طور بين الاعتزال والسُّنَّة، يثبت بعضَ الصفات ويؤوِّل أكثرها، ثمَّ انتهى أمره إلى اعتقاد ما كان عليه سلف الأمة؛ إذ أبان عن ذلك في كتابه الإبانة، الذي هو من آخر كتبه أو آخرها، فبيَّن أنَّه في الاعتقاد على ما كان عليه إمام أهل السُّنَّة، الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - وغيره من أهل السُّنَّة، وهو إثبات كلّ ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، على ما يليق بالله، من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تحريف أو تأويل، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

والأشاعرة باقون على مذهبه الذي كان عليه قبل الانتقال إلى مذهب أهل السُّنَّة والجماعة، وقد اشتهر عند بعض الناس مقولةٌ أنَّ الأشاعرة في هذا العصر يُمثِّلون 95٪ من المسلمين، وهذه

المقولة غير صحيحة من وجوه:

الأول: أنَّ إثبات مثل هذه النسبة إنَّما يكون بإحصاء دقيق يؤدِّي إلى ذلك، وهو غير حاصل، وهي مجرَّد دعوى.

الثاني: أنَّه لو سُلِّم أنَّهم بهذه النِّسبة؛ فإنَّ الكثرةَ لا تدلُّ على السلامة وصحَّة العقيدة، بل السَّلامةُ وصحَّةُ المعتقد إنَّما تحصل باتِّباع ما كان عليه سلف هذه الأمَّة من الصحابة ومَن سار على نهجهم، وليست باتِّباع معتقد توفي صاحبُه في القرن الرابع، وقد رجع عنه، وليس من المعقول أنَّ يُحجب حقٌّ عن الصحابة والتابعين وأتباعهم، ثم يكون في اتِّباع اعتقاد حصلت ولادتُه بعد أزمانهم.

الثالث: أنَّ مذهب الأشاعرة إنَّما يعتقده الذين تعلَّموه في مؤسَّسات علمية، أو تعلَّموه من مشايخ كانوا على مذهب الأشاعرة، وأمَّا العوام - وهم الأكثرية - فلا يعرفون شيئاً عن مذهب الأشعرية، وإنَّما هم على الفطرة التي دلَّ عليها اعتقاد الجارية في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه، وقد تقدَّم.

والعقيدة المطابقة للفطرة هي عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وقد مرَّ إيضاحُ ذلك قريباً في الفائدة الثالثة.

* * *

الفائدة التاسعة:

عقيدة الأئمَّة الأربعة ومَن تفقَّه بمذاهبهم

من أئمَّة أهل السُّنَّة الإمام أبو حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله، وعقيدتُهم هي عقيدة السَّلف من الصحابة ومَن سار على نهجهم.

وأمَّا المشتغلون بالفقه بعدهم، فمنهم من يستفيدُ من علمهم في الفروع، ويُعوِّل على ما دلَّ عليه الدليل؛ أخذاً بوصايا الأئمَّة أنفسهم، فإنَّ كلَّ واحد منهم جاء عنه الأمرُ باتِّباع الدليل، وتركِ قوله إذا كان الدليلُ على خلافه، وهؤلاء موافقون لهم في العقيدة.

ومنهم مَن يُقلِّدُهم في مسائل الفروع، دون سعيٍ إلى معرفة الرَّاجح بالدَّليل، وهؤلاء منهم مَن يُوافقهم في العقيدة، وكثيرون منهم يتَّبعون مذهب الأشاعرة.

ومن أمثلة مَن تفقَّه في المذهب الحنفي وهو على عقيدة السَّلف الإمام أبو جعفر الطحاوي صاحب عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة، وشارح هذه العقيدة علي بن أبي العز الحنفي، ومنهم في المذهب الشافعي عبد الرحمن ابن إسماعيل الصابوني، مؤلِّف كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، والذهبي صاحب كتاب العلو، وابن كثير صاحب التفسير، ومنهم في المذهب المالكي ابن أبي زيد القيرواني، وأبو عمر الطلمنكي، وأبو عمر بن عبد البر، ومنهم في المذهب الحنبلي الإمام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والإمام محمد بن عبد الوهاب.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - في كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة كما في مختصره لابن الموصلي اثنين وأربعين وجهاً في إبطال قول مَن فسَّر الاستواء على العرش بالاستيلاء عليه، وذكر أنَّ كثيراً من المالكية على منهج السَّلف في العقيدة، فقال في (2/132 - 136):

« الوجه الثاني عشر: أنَّ الإجماعَ منعقدٌ على أنَّ الله سبحانه استوى على عرشه حقيقة لا مجازاً، قال الإمام أبو عمر الطلمنكي - أحد أئمَّة

المالكية وهو شيخ أبـي عمـر بـن عبـد الـبر - فـي كتـابه الكـبير الـذي سَـمَّاه الوصـول إلـى معرفـة الأصول، فذكر فيه من أقوال الصـحابة والتـابعين وتابعيهم وأقوال مالك وأئمَّة أصحابه، ما إذا وقف عليه الواقفُ علمَ حقيقةَ مـذهب السَّـلف، وقـال في هذا الكتاب: أجمع أهـلُ السـنَّة علـى أنَّ اللـه تعالى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز.

الوجه الثالث عشر: قال الإمـام أبـو عمـر بـن عبـد الـبر فـي كتـاب التمهيـد فـي شـرح حـديث النُـزول: « وفيـه دليـلٌ علـى أنَّ اللـه تعـالى فـي السماء على العرش من فوق سبع سموات، كمـا قالت الجماعة وقـرَّر ذلـك، إلـى أن قـال: وأهـل السُّنَّة مجمعون علـى الإقـرار بالصـفات الـواردة في القرآن والسُّـنَّة، والإيمـان بهـا وحملهـا علـى الحقيقة لا على المجاز، إلاَّ أنَّهم لا يُكيِّفـون شـيئاً من ذلك، ولا يَحدُّون فيـه صـفة مخصوصـة، وأمَّـا أهل البدع الجهمية والمعتزلـة والخـوارج، فكلُّهـم يُنكرُهـا ولا يحمـل شـيئاً منهـا علـى الحقيقـة، ويزعمون أنَّ مَن أقرَّ بها مشبِّهٌ، وهم عند مَن أقرَّ بها نافون للمعبود.

وقـال أبـو عبـد اللـه القرطـبي فـي تفسـيره المشـــهور فـــي قـــوله

[illegible]: هذه المسألة للفقهاء فيها كلام، ثم ذكر أقوال المتكلمين، ثم قال: وقد كان السلف الأول لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق به في كتابه، وأخبرت به رسلُه، ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنَّه استوى على عرشه حقيقة، وإنَّما جهلوا كيفية الاستواء، كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول.

الوجه الرابع عشر: أنَّ الجهمية لَمَّا قالوا إنَّ الاستواءَ مجازٌ صرَّح أهل السُّنَّة بأنَّه مستوٍ بذاته على عرشه، وأكثرُ مَن صرَّح بذلك أئمَّةُ المالكية، فصرَّح به الإمام أبو محمد بن أبي زيد في ثلاثة مواضع من كتبه، أشهرها الرسالة، وفي كتاب جامع النوادر، وفي كتاب الآداب، فمَن أراد الوقوف على ذلك فهذه كتبه، وصرَّح بذلك القاضي عبد الوهاب، وقال: إنَّه استوى بالذات على العرش، وصرَّح به القاضي أبو بكر الباقلاني وكان مالكيًّا، حكاه عنه القاضي عبد الوهاب نصًّا، وصرَّح به أبو عبد الله القرطبي في كتاب شرح أسماء الله الحسنى، فقال: ذكر أبو بكر الحضرمي من قول الطبري يعني محمد بن جرير وأبي محمد بن أبي زيد وجماعة من شيوخ الفقه

والحديث، وهو ظاهر كتاب القاضي عبد الوهّاب عن القاضي أبي بكر وأبي الحسن الأشعري، وحكاه القاضي عبد الوهاب عن القاضي أبي بكر نصًّا، وهو أنَّه سبحانه مُستوٍ على عرشِه بذاته، وأطلقوا في بعض الأماكن فوق خلقه.

قال: وهذا قولُ القاضي أبي بكر في تمهيد الأوائل له، وهو قولُ أبي عمر بن عبد البر، والطلمنكي وغيرهما من الأندلسيّين، وقول الخطّابي في شعار الدِّين.

وقال أبو بكر محمد بن موهب المالكي في شرح رسالة ابن أبي زيد: قوله إنَّه فوق عرشه المجيد بذاته، معنى (فوق) و(على) عند جميع العرب واحدٌ، وفي كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ تصديقُ ذلك، ثمَّ ذكر النصوصَ من الكتاب والسنة واحتجَّ بحديث الجارية وقول النبيِّ ﷺ لها: (أين الله؟) وقولها: (في السماء)، وحكمه بإيمانها، وذَكَر حديثَ الإسراء، ثمَّ قال: وهذا قول مالك فيما فهمه عن جماعةٍ مِمَّن أدرك من التابعين، فيما فهموا من الصحابة فيما فهموا عن نبيِّهم ﷺ: أنَّ اللهَ في السماء بمعنى فوقها وعليها، قال الشيخ أبو محمد: إنَّه بذاته فوق عرشه المجيد، فتبيَّن أنَّ علوَّه على عرشه

وفوقه إنَّما هو بذاته، إلاَّ أنَّه بائنٌ من جميع خلقه بلا كيف، وهو في كلِّ مكان من الأمكنة المخلوقة بعلمه لا بذاته، لا تحويه الأماكن؛ لأنَّه أعظمُ منها، إلى أن قال: وقوله: على العرش استوى، إنَّما معناه عند أهل السنَّة على غير معنى الاستيلاء والقهر والغلبة والملك، الذي ظنَّت المعتزلةُ ومَن قال بقولهم أنَّه معنى الاستواء، وبعضُهم يقول إنَّه على المجاز لا على الحقيقة، قال: ويُبيِّن سوءَ تأويلهم في استوائه على عرشه على غير ما تأوَّلوه من الاستيلاء وغيره، ما قد علمه أهلُ المعقول أنَّه لَم يَزل مستولياً على جميع مخلوقاته بعد اختراعه لها، وكان العرشُ وغيرُه في ذلك سواءً، فلا معنى لتأويلهم بإفراد العرش بالاستواء الذي هو في تأويلهم الفاسد استيلاءٌ وملكٌ وقَهرٌ وغلبةٌ، قال: وذلك أيضاً يبيِّن أنَّه على الحقيقة بقوله ﴿ ﴾، فلمَّا رأى المصنِّفون إفراد ذكره بالاستواء على العرش بعد خلق السموات وأرضه وتخصيصه بصفة الاستواء علموا أنَّ الاستواءَ غير الاستيلاء، فأقرُّوا بوصفه بالاستواء على عرشه وأنَّه على الحقيقة لا على المجاز؛ لأنَّه الصادقُ في قِيله، ووقفوا عن تكييف ذلك وتمثيله؛ إذ ليس كمثله

شيء، هذا لفظه في شرحه.

الـوجه الخـامس عشـر: أنَّ الأشـعريَّ حكـى إجماعَ أهل السـنَّة علـى بُطلان تفسـير الاسـتواء بالاستيلاء، ونحن نـذكر لفظَـه بعينـه الـذي حكـاه عنه أبو القاسم بن عساكر في كتاب تـبيين كـذب المفتري، وحكـاه قبلـه أبـو بكـر بـن فَـوْرك وهـو موجودٌ في كتبه، قال في كتاب الإبانة وهـي آخـرُ كتبه قال:

(باب ذكر الاستواء) إن قال قائلٌ: مـا تقولـون في الاستواء، قيل: نقول له: إنَّ اللهَ تعالى مستوٍ على عرشـه، كمـا قـال تعـالى: [illegible]، وساق الأدلَّةَ علـى ذلـك، ثـمَّ قـال: وقـال قـائلون مـن المعتزلـة والجهميّـة والحروريـة: إنَّ معنـى قـوله: [illegible] أنَّـه اسـتولى ومَلَـكَ وقَهَـر، وجحدوا أن يكون اللهُ على عرشه كما قـال أهـلُ الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القُدرة، ولـو كـان هذا كما قالوا كـان لا فـرق بيـن العـرش والأرض السابعة السُّفلى؛ لأنَّ اللهَ تعالى قـادرٌ علـى كـلِّ شيء، والأرض والسموات وكلّ شيء في العالَم، فلـو كـان اللـهُ مسـتوياً علـى العـرش بمعنـى

الاستيلاء والقدرة لكان مستوياً على الأرض والحشوش والأنْتَان والأقْذار؛ لأنَّه قادرٌ على الأشياء كلِّها ولم نجد أحداً من المسلمين يقول إنَّ اللهَ مستوٍ على الحشوش والأخْلِيَة، فلا يجوزُ أن يكون معنى الاستواء على العرش على معنى هو عام في الأشياء كلِّها، ووَجَبَ أن يكون معنى الاستواء يَختصُّ بالعرش دون سائر الأشياء، وهكذا قال في كتابه الموجَز وغيره من كتبه ».

* * *

الفائدة العاشرة:

التأليف في العقيدة على منهج السلف:

المؤلَّفاتُ في العقيدة على منهج السلف كثيرةٌ جدًّا، منها مؤلَّفات مستقلَّة، ومنها مؤلَّفات تشتملُ على العقائد وغيرها. أمَّا الكتب المشتملة على العقائد وغيرها، فمثل صحيح البخاري، فإنَّه يشتمل على سبعة وتسعين كتاباً، أوَّلُها كتابُ الإيمان، وآخرُها كتابُ التوحيد، وبينهما كتبٌ أخرى، مثل كتاب القدر، وكتابُ الأنبياء، وكتابُ الاعتصام بالكتاب والسنَّة، ومثل صحيح

مسلم ففيه كتابُ الإيمان، وهو أوَّلُ الكتب، وكتاب القدر وغير ذلك، وكذا كتب السنن الأربعة وغيرها، تشتمل على كتب في العقيدة، بعضُها باسم الإيمان، وبعضها باسم السنَّة مثل كتاب السنَّة في سنن أبي داود.

وأمَّا المؤلَّفات المستقلَّة في العقيدة، فتنقسم إلى قسمين:

مؤلَّفات على طريقة المتقدِّمين، ومؤلَّفات على طريقة المتأخِّرين.

أمَّا المؤلَّفات على طريقة المتقدِّمين، فهي تُعنى غالباً بإيراد الأحاديث والآثار مسندة، وفيها أسماء يدخل تحتها عدَّة مسمَّيات، كالإيمان، والسُّنَّة، والردِّ على الجهمية، فمِن المؤلَّفات باسم الإيمان: الإيمان لأبي بكر ابن أبي شيبة، ولأبي عبيد القاسم بن سلام، ولابن أبي عمر العدني، ولابن منده، وغيرها.

ومن المؤلَّفات باسم السنَّة: السنَّة لمحمد بن نصر المروزي، ولابن أبي عاصم، ولعبد الله بن الإمام أحمد، وللاَّلكائي، وللخلال، ولابن شاهين، وأصول السنَّة لابن أبي زمنين، وشرح السنة للمزني وللبربَهاري، والمختار في أصول السنة لابن البنا.

ومن المؤلَّفات باسم الردّ على الجهمية: الـردّ على الجهمية للإمـام أحمـد، ولعثمـان بـن سـعيد الدارمي، ولابن منده.

وهناك مؤلَّفات أخرى، كالتوحيد لابـن خزيمـة، والتوحيد لابن منده، والشريعة للآجـري، والحُجَّـة في بيان المحجّة لإسماعيل الأصـبهاني، وعقيـدة السـلف وأصـحاب الحـديث للصـابوني، وخلـق أفعال العباد للبخـاري، والعـرش لابـن أبـي شـيبة، والقـدر للفريـابي، والعظمـة لأبـي الشـيخ، والرؤيـة والنُزول والصفات كلّها للدارقطني، وتعظيم قدر الصـلاة لمحمـد بـن نصـر المـروزي، والبعـث والنشور لأبي داود، وصفة الجنـة والإمامـة والـرد على الرافضة كلاهما لأبي نعيم، وذم الكلام وأهله للهروي، والإبانة الكبرى لابن بطة.

وللمتقدِّمين والمتـأخِّرين مؤلَّفـاتٌ تشـتمل علـى مسائل العقيدة باختصـار مـن دون أسـانيد، ككتـاب السـنَّة لأحمـد، وعقيـدة أهـل السُّـنَّة والجماعـة للطحاوي، ومقدمة رسالة ابن أبـي زيـد القيروانـي، وصـريح السُّـنَّة لابـن جريـر الطـبري، واعتقـاد أهـل السُّنَّة لأبي بكر الإسماعيلي، والإبانة الصـغرى لابـن بطـة، والإبانـة لأبـي الحسـن الأشـعري، وعقيـدة الحافظ عبد الغني، ولمعة الاعتقـاد والعلـو، كلاهمـا لابـن قدامـة، والعقيـدة الواسـطية والتدمريـة

والحموية كلها لابن تيمية.

وأمَّا المؤلَّفات على طريقة المتأخِّرين، فهي تُعنَى بإيراد الآيات والأحاديث والآثار والردِّ على المخالفين في كلِّ موضوع على حدَة.

وعند ذكر الأحاديث والآثار يعزونها إلى كتب المؤلِّفين المتقدِّمين المسندة، فيُقال: رواه البخاري ومسلم وأبو داود، دون أن يذكروا شيئاً من الأسانيد، مثل الانتصار في الردِّ على المعتزلة القدرية الأشرار ليحيى العمراني، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، ومنهاج السنة ودرء تعارض العقل والنقل والإيمان كلّها لابن تيمية، والعلو للذهبي، واجتماع الجيوش الإسلامية وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة كلها لابن القيم، ومختصر الصواعق المرسلة لمحمد بن الموصلي، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وشرحه تيسير العزيز الحميد لحفيده الشيخ سليمان بن عبد الله، وشرحه فتح المجيد لحفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

وما ذكرته من الكتب تمثيل وليس استقصاء.

وأمَّا غَمزُ بعض المبتدعة بعضَ كتب السُّنَّة لاشتمالها على أحاديث ضعيفة أو موضوعة

فمـردودٌ؛ وذلـك أنَّ عـادةَ المحـدِّثين إذا أسـندوا الأحـاديث فقـد أحـالوا المشـتغلين بـالعلم إلـى أسانيدها للنَّظر فيها، وقد ذكر شيخ الإسـلام ابـن تيميـة فـي منهـاج السُّـنَّة (4/15) أنَّ عـادةَ المحدِّثين أنَّهم يروون جميعَ مـا فـي البـاب لأجـل المعرفـة بـذلك، وإن كـان لا يحتـج مـن ذلـك إلاَّ ببعضه، وذكر أيضاً أنَّ المحدِّث يـروي مـا سـمعه كمـا سـمعه والـدَّرك علـى غيـره لا عليـه، وأهـلُ العلم ينظرون فـي ذلـك، وفـي رجـاله وإسـناده، وقـال الحـافظ ابـن حجـر فـي لسـان الميـزان (3/75)ـ ((أكثرُ المحدِّثين فـي الأعصـار الماضـية من سـنة مـائتين وهلـمَّ جـرّا إذا سـاقوا الحـديثَ بإسـناده اعتقـدوا أنَّهـم برئـوا مـن عهـدته، واللـه أعلم)).

نصُّ مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني

من طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة

باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة
من واجب أمور الديانات

من ذلك الإيمانُ بـالقلب والنُّطـقُ باللِّسـان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شـبيهَ لـه، ولا نَظيـرَ لـه، ولا وَلَـدَ لـه، ولا وَالِـدَ لـه، ولا صـاحبة لـه، ولا شريكَ له.

ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ، لا يَبْلُـغُ كُنْـــهَ صِـــفَتِهِ الواصـــفون، ولاَ يُحيـــطُ بـــأمرِه المُتَفَكِّرونَ، يَعتَبِرُ المتفَكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ[1] ذاتِه، ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاَّ بِما شاء وَسِعَ كرْسِـيُّه السَّـموات والأرض، ولا يِؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ.

العـــالِمُ[2] الخـــبيرُ، المُـــدَبِّرُ القَـــدِيرُ، السَّـــمِيعُ

[1] () في نسخة: (مائية).
[2] () في نسخة: (العليم).

البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ، وَأنَّـه فـوقَ عَرشـه المجيـد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعِلمه.

نظم مقدِّمة الرِّسالة

للشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي المتوفى سنة (1285هـ)

نقلاً من ديوانه (ص: 17).

باب ما تعتقدُه القلوب وتنطق به الألسنُ من واجب أمور الديانات

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشرِّه

فصلٌ في عذاب القبر وفتنته

فصل في البعث بعد الموت والجزاء

فصل في الإيمان بالحوض

وأنَّ للمصـــــطفى ... مـا بيـن صَـنْعَا وبُصـرَى
حوضـــاً مســـافتُه ... هكـــــذا ذكـــــرَا
أحلَــى مــن العســل ... وأنَّ كِيزَانَه مثلُ النجـوم
الصـــافي مـــذاقتُه ... تُـــــــــــــرَى
ولم يَرِدْه سـوى أتبـاع ... ســـيماهم: أن يُـــرى
سُـــــــــنَّته ... النَّحجيـــل والغُـــرَرَا
وكم يُنحَّى ويُنفَى كـلُّ ... عن وِرْدِه ورجالٌ أحدثوا
مبتـــــــــدع ... الغيَـــــــــرَا
وأن جســـراً علـــى ... بســرعة مَــن لمنهــاجِ
النِّيـــران يَعبُـــرُه ... الهُـــــدى عبَـــــرَا
وأنَّ إيْمَانَنــا شـرعــاً ... قصدٌ وقولٌ وفعلٌ للـذي
حقيقتُـــــــه ... أمـــــــــرَا
وأنَّ معصيةَ الرحْمــن ... كما يزيد بطاعات الـذي
تُنقصُـــــــه ... شَـــــــكَرَا
وأنَّ طاعةَ أولي الأمر ... من الهُداة نجـوم العلـم
واجبـــــــةٌ ... والأُمـــــــرَا
إلاَّ إذا أمـــروا يومـــاً ... مــن المعاصـي فيُلغـى
بمعصـــــــية ... أمرهـــــم هَـــــدَرَا
وأنَّ أفضـــلَ قـــرن ... نبيَّنـا وبهـم ديـنُ الهُـدى
للَّذيـــــــن رأوا ... نُصـــــــــرَا

أعنِي الصحابةَ رُهبــانٌ بليلهــــــــــــمُ ... وفي النهار لــدى الهَيْجَــا لُيــــــوث شَــــــرَى

وخيرُهـــم مَـــن ولِـــي منهــــم خلافتــــــه ... والسَّــبق فــي الفضــل للصِّـــدِّيق مـــعْ عُمَــــرَا

والتـــابعون بإحســـان لهــــــم وكـــــــذا ... أتباع أتباعهم مِمَّن قفـى الأثَــــــــــــــرَا

وواجبٌ ذِكـرُ كـلّ مـن صـــــــــــحابته ... بالخير والكفُّ عمَّا بينهم شَــــــــــــجَرَا

فلا تَخُـض فـي حـروب بينهــــم وقعــــــت ... عـــن اجتهـــاد وكـــنْ إن خُضـــــتَ معتـــــذِرَا

والاقتـــداءُ بهـــم فـــي الـــدِّين مفتَــــرَضٌ ... فاقتَـد بهـم واتَّبـع الآثـار والسُّـــــــــــوَرَا

وتـــركُ مـــا أحـــدثه المُحـــدِثون فكـــم ... ضلالة تبعت والـدِّين قـد هُجِـــــــــــرَا

إنَّ الهُـــدى مـــا هـــدى الهـــادي إليـــه ومـــا ... به الكتاب كتاب الله قـد أمَـــــــــــــرَا

فلا مـــراء ومـــا فـــي الـــدِّين مـــن جـــدلِ ... وهل يُجادل إلاَّ كـلُّ مَـن كفـــــــــــــرَا

فهـــاك فـــي مـــذهب الأســـلاف قافيـــةً ... نظماً بديعاً وجيزَ اللَّفظ مختصـــــــــــرَا

يحوي مهمّات باب فـي العقيـــــدة مـــــن رسالة ابن أبي زيد الذي اشـــــــــــــتَهَرَا
والحمــد للــه مولانــا ونســـــــــــــأله غفران ما قلَّ مـن ذنـب ومــــــا كـــــــثرَا
ثمَّ الصـلاةُ علـى مَـن عـــــــمَّ بعثتـــــــه فأنــذر الثَّقلَيــن الجــنَّ والبَشَــــــــــــــرَا
ودينُــه نَسَــخ الأديــانَ أجمَعَهـــــــــــــا وليــس يُنْسَــخُ مــا دام الصَّــــــفَا وحِـــــرَا
محمـــد خيـــر كـــلِّ العـــــالَمين بــــه ختــم النــبيِّين والرُّســل الكـــــــرام جَـــــــرَا
وليس من بعده يوحَى إلـــــــى أحـــــد ومــن أجــاز فحَــلَّ قتلُــه هَـــــــــــــــدَرَا
والآلُ والصَّـــحبُ مـــا ناحت على فنَن وَرْقَا ومَا غرَّدت قُمْريّـــة سَحَــرَا

***

أوَّلُ الشَّــرح

1 ـ قــوله: « **بــاب مــا تنطــق بــه الألســنةُ وتعتقدُه الأفئدة من واجب أمور الديانات، من ذلك الإيمانُ بالقلب والنُّطقُ باللِّســان أنَّ الله إلَهٌ واحدٌ لا إله غيرُه، ولا شبيهَ لــه، ولا نَظيرَ له، ولا وَلَـدَ لـه، ولا وَالِـدَ لـه، ولا صاحبةَ له، ولا شريكَ له** ».

عقد ابنُ أبي زيد القيرواني - رحمــه اللــه - هـذا البابَ في مقدِّمة رسالته بـالفقه؛ لأنَّـه لَـم يجعـل التأليف في العقيدة مستقلاًّ، بل أتى به تحت هـذا الباب في مقدِّمة رسـالته، فصـارت رسـالتُه فـي الفقه، جمعت بين الفقهين: الفقه الأكبر، وهو مـا يتعلَّق بالعقيدة التي لا مجال فيها للاجتهاد، وفقــه الفروع، الذي فيه مجال للاجتهاد.

وما ذكـره مـن التنصـيص علـى قـول اللِّسـان واعتقـاد القلـب بيـن يـدي هـذه العقيـدة؛ لأنَّ مـا يُعتقـدُ مطلـوبٌ فيـه أن يكـونَ فـي القلـب، وأن يكــون علــى اللِّســان، ولا يُقــال: إنَّــه لــم يــذكر الأعمالَ، فيُشابه مرجئةَ الفقهاء؛ لأنَّه قد ذكر فـي

هذه المقدِّمة أنَّ الإيمانَ يكون بــالقلب واللِّســان والعمل.

وكلامُ ابن أبي زيد - رحمه اللــه - هــذا مشــتملٌ على إثبات ألوهية الله وحده، وعلى النفي لأمــور سبعة، هي: نفيُ الإلَهية عن غيره، ونفيُ الشَّــبيه، ونفيُ النَّظير، ونفيُ الولد، ونفيُ الصاحبة، ونفــيُ الشريك.

فقوله: ((أنَّ اللهَ واحدٌ لا إلَه غيره)) مأخوذ من قوله تعالى: [illegible]، وهو مشتملٌ على بيان أنَّ اللهَ وحدَه هو الإلَهُ الحقُّ الذي يجــب أن تُفــرَدَ له العبادة، وأن لا يكون لغيره نصيبٌ منها، ولهــذا الأمر العظيم أرسل اللــهُ الرُّســلَ وأنــزل الكتــبَ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، فالله خلق الخَلق، وأرسلَ الرُّسلَ، وأنزل الكُتــبَ لأمرهم بعبادته وحده، وتــرك عبــادة غيــره، وهــذا النوع من التوحيد - وهو توحيد الألوهية، وهو إفرادُ

الله بالعبادة ـ هو أحدُ أنواع التوحيد الثلاثة، التي هي توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الألوهية: توحيد الله بأفعال العباد، كالدعاء والاستغاثة والاستعاذة والذَّبح والنَّذر، وغيرها من أنواع العبادة، كلُّها يَجب على العباد أن يَخصُّوا الله تعالى بها، وأن لا يجعلوا له فيها شريكاً.

وتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، كالخَلق والرَّزق والإحياء والإماتة والتصرُّف في الكون، وغير ذلك من أفعال الله التي هو مختصٌّ بها، لا شريك له فيها.

وتوحيدُ الأسماء والصفات: هو إثباتُ ما أثبته اللهُ لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء والصفات على وجه يليقُ بكمال الله وجلاله، من غير تمثيل أو تكييف، ومن غير تحريف أو تعطيل.

وهذا التقسيم لأنواع التوحيد عُرف بالاستقراء من نصوص الكتاب والسُّنَّة، ويتَّضح ذلك بأوَّل سورة في القرآن، وآخر سورة؛ فإنَّ كلاًّ منهما مشتملةٌ على أنواع التوحيد الثلاثة.

فأمَّا سورة الفاتحة، فإنَّ الآيةَ الأولى فيها،

وهي: [illegible] مشتملةٌ على هــذه الأنــواع؛ فــإنَّ [illegible] فيهــا تــوحـيــد الألوهية؛ لأنَّ إضافةَ الحمد إليه من العباد عبــادةٌ، وفــي قــوله: [illegible] إثبات توحيــد الربوبيَّة، وهو كون اللــه عــزَّ وجــلَّ ربَّ العــالمين، والعالَمون هم كلُّ مَن سوى الله؛ فإنَّه ليــس فــي الوجود إلاَّ خالقٌ ومخلوق، والله الخالقُ، وكلُّ مَن سواه مخلوق، ومن أسماء الله الرب.

وقــوله: [illegible] مشتملٌ علــى توحيــد الأســماء والصــفات، والرحمــن الرحيــم اسمان مــن أســماء اللــه يــدُلاَّن علــى صــفة مــن صــفات اللــه، وهــي الرَّحمــة، وأســماءُ اللــه كلُّهــا مشتقَّةٌ، وليس فيها اسم جامــد، وكــلُّ اســم مــن الأسماء يدلُّ على صفة من صفاته.

و[illegible] فيـــه إثبـــات توحيـــد الربوبيَّة، وهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، وإنَّمــا خصَّ يوم الدِّين بأنَّ اللــهَ مــالكُه؛ لأنَّ ذلــك اليــوم يخضعُ فيه الجميعُ لــربِّ العــالَمين، بخلاف الــدنيا، فإنَّه وُجد فيها من عتا وتَجبَّر، وقال: [illegible].

وقوله: [illegible] فيه

إثبـاتُ توحيـد الألوهيـة، وتقـديمُ المفعـول وهـو ﴿ ﴾ يُفيد الحصـرَ، والمعنـى: نخصُّـكَ بالعبـادة والاستعانة، ولا نشرك معك أحداً.

وقوله: ﴿ ﴾ فيه إثبات توحيـد الألوهيـة؛ فـإنَّ طلبَ الهداية من الله دعاءٌ، وقد قال رسول اللـه ﷺ: ((الدعاءُ هو العبادة))، فيسأل العبدُ ربَّـه فـي هـذا الـدعاء أن يَهـديَه الصـرطَ المسـتقيمَ الـذي سلكه النبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالِحون، الذين هم أهل التوحيد، ويسـأله أن يُجنِّبَـه طريـقَ المغضـوب عليهـم والضـالِّين، الـذين لَـم يحصـل منهـم التوحيـدُ، بـل حصـل منهـم الشِّـركُ بـالله وعبادةُ غيره معه.

وأمَّا سورة الناس، فقـوله: ﴿ ﴾ فيـه إثبـاتُ أنـواع التوحيـد الثلاثـة؛ فـإنَّ الاستعاذةَ بالله من توحيد الألوهيَّة.

و﴿ ﴾ فيــه إثبــات توحيــد الربوبيَّــة وتوحيد الأسماء والصفات، وهو مثل قول الله عزَّ وجلَّ في أول الفاتحة: ﴿ ﴾.

وقـوله: ﴿ ﴾ فيـه إثبـاتُ الربوبيَّـة والأسماء والصفات.

و﴿ ﴾ فيه إثبات الألوهيـة والأسـماء والصفات.

والنسبةُ بين أنواع التوحيد الثلاثة هذه أن يُقال: إنَّ توحيـدَ الربوبيَّـة وتوحيـدَ الأسـماء والصـفات مسـتلزمان لتوحيـد الألوهيـة، وتوحيـد الألوهيَّـة متضمِّنٌ لهما، والمعنى أنَّ مَن أقرَّ بالألوهيَّة فـإنَّه يكـونُ مُقـرًّا بتوحيـد الربوبيَّـة وبتوحيـد الأسـماء والصفات؛ لأنَّ مَن أقرَّ بأنَّ اللهَ هو المعبودُ وحده فخصَّه بالعبادة ولم يجعل له شريكاً فيها، لا يكون منكـراً بـأنَّ اللـهَ هـو الخـالقُ الـرازقُ المُحيـي المميـتُ، وأنَّ لـه الأسـماء الحسـنى والصـفات العُلَى.

وأمَّا مَن أقرَّ بتوحيد الربوبيَّـة وتوحيـد الأسـماء والصفات، فـإنَّه يلزمـه أن يُقـرَّ بتوحيـد الألوهيَّـة، وقد أقرَّ الكفَّارُ الذين بُعث فيهـم رسـول اللـه ﷺ بتوحيد الربُوبيَّـة، فلَـم يُـدخلهم هـذا الإقـرارُ فـي الإسـلام، بـل قـاتَلَهم حـتى يَعبـدوا اللـهَ وحـده لا شريك له، ولهذا يـأتي كـثيراً فـي القـرآن تقريرُ توحيـد الربوبيَّـة الـذي أقـرَّ بـه الكفَّـارُ؛ لإلزامهـم

بالإقرار بتوحيد الألوهيَّة، ومن أمثلة ذلك قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

ففي كلِّ آية من هذه الآيات تقريرُ توحيد الربوبيَّة للإلزام بتوحيد الألوهيَّة، فيقول في كلِّ آية من هذه الآيات الخمس عقب تقرير توحيد الربوبيَّة: [illegible]، والمعنى أنَّ مَن تفرَّد

بهذه الأفعال التي هي من أفعال الله وحده، يجبُ أن يُخصَّ بالعبادة وحده؛ لأنَّ مَن اختصَّ بالخلْق والإيجاد وغيرها من أفعال الله يَجب أن يُخصَّ بالعبادة وحده، وكيف يُعقل أن تكون المخلوقات التي كانت عَدَماً، وقد أوجدَها الله، كيف يُعقل أن يكون لها نصيبٌ من العبادة وهي مخلوقةٌ لله؟!

ثمَّ إنَّه لا بدَّ لقبول العبادة والعمل الصالح من توفُّر شرطين:

أحدهما: أن يكون العملُ لله خالصاً، والثاني: أن يكون لسُنَّة نبيِّه ﷺ موافقاً.

فلا بدَّ من تجريد الإخلاص لله وحده، ولا بدَّ من تجريد المتابعة للنِّبيِّ ﷺ، فلو وُجد العملُ مبنيًّا على سُنَّة وفُقد فيه شرطُ الإخلاص لم يُقبَل؛ لقول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، ولو وُجد العملُ خالصاً لله لكنَّه لَم يُبْنَ على سُنَّة، بل بُنِيَ على البدع والمحدثات فإنَّه مردودٌ على صاحبه؛ لقوله ﷺ في الحديث المتَّفق على صحَّته عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وفي لفظ

لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ »، أي: مردودٌ عليه غير مقبول منه.

ولا يُقال: إنَّ العملَ إذا كان خالصاً لله، ولم يكن مبنيًّا على سُنَّة، وكان قَصدُ صاحبه حسناً أنَّه محمودٌ ونافعٌ لصاحبه، ومِمَّا يدلُّ على ذلك أنَّ الرَّسولَ الكريم ﷺ قال للصحابيِّ الذي ذبح أُضحيتَه قبل صلاة العيد: « شاتُك شاةُ لَحم »، فلَم يعتبرها رسول الله ﷺ أُضحيةً؛ لأنَّها ذُبحَت قبل ابتداء وقت الذَّبح الذي يبدأ بعد صلاة العيد، والحديثُ أخرجه البخاري (5556)، ومسلم (1961)، وقد قال الحافظ في شرحه في الفتح (10/17):ـ « قال الشيخ أبو محمد بن أبي جَمرة: وفيه أنَّ العملَ وإن وافق نيَّةً حسنةً لَم يصحَّ، إلاَّ إذا وقع على وفق الشَّرع ».

وفي سنن الدارمي (1/68 ـ 69) أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ وقف على أناس في المسجد مُتحلِّقين وبأيديهم حصًى، يقول أحدهم: كبِّروا مائة، فيُكبِّرون مائة، فيقول: هلِّلوا مائة، فيُهلِّلون مائة، ويقول: سبِّحوا مائة، فيُسبِّحون مائة، فقال: « ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن! حصى نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ، قال: فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا

يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ، وَيْحَكم يا أمّـة محمـد! مـا أسـرع هلكتكـم! هـؤلاء صـحابةُ نـبيِّكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُه لم تَبْلَ، وآنيتُـه لـم تُكسـر، والذي نفسي بيده إنَّكم لَعلَى مِلَّةٍ هي أهـدى مـن مِلَّـة محمـد ﷺ أو مفتتحـو بـاب ضـلالة؟! قـالوا: والله يا أبا عبد الرحمن! ما أردنا إلا الخيـر، قـال: وكم من مريد للخير لن يصيبه ». وهذا الأثر أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم:2005).

وقول ابن أبي زيد رحمـه اللـه: « أنَّ اللـه إلـه واحد لا إله غيره » هو معنى كلمة الإخلاص (لا إله إلاَّ الله)، وهي مشـتملةٌ علـى نفـي عـام وإثبـات خاص، فالنَّفيُ العـام نفـيُ العبـادة عـن كـلِّ مَـن سوى اللـه، والإثبـاتُ الخـاص إثباتُهـا للـه وحـده، و(لا) نافيـةٌ للجنـس، وخبرهـا محـذوفٌ تقـديرُه: حقٌّ، والمقصودُ نفيُ وجود إله بحـق سـوى اللـه، وإلاَّ فإنَّ الآلهةَ بالباطل موجودةٌ وكثيرةٌ، وقد ذكر اللـه عـن الكفـار أنَّهـم قـالوا: [illegible].

والجملةُ الأولَـى مـن جُمـل النفـي السَّـبع فـي كلام ابن أبـي زيـد « لا إلـه غيـره » تأكيـدٌ لقـوله: « أنَّ الله إلهٌ واحدٌ »، وختمها بقوله: « ولا شريك له »؛ لبيان أنَّ العبادةَ يجب أن تكون خالصةً للــه،

وألاَّ يكـون لـه شـريكٌ فـي أيِّ نـوع مـن أنـواع العبادة، والله تعالى واحدٌ في ربوبيَّته، وواحدٌ في ألوهيَّته، وواحدٌ في أسمائه وصفاته، فلَم يُشاركه أحدٌ في ألوهيَّته؛ فهو مسـتحقٌّ للعبـادة دون مَـن سواه، ولم يُشاركه أحدٌ في ربوبيَّته، فهو سبحانه وحـده الخـالقُ المـدبِّر، ولـم يُشـاركه أحـد فـي أسـمائه وصـفاته؛ لأنَّ المعـانِيَ اللاَّئقـة بـالله لا يُشاركه أحدٌ من خلقه فيها.

وقوله: ((ولا شبيه له ولا نظير)) أي: أنَّ الله لا مِثْلَ له ولا يُشبهه أحدٌ من خلقه، بل هـو المتفـرِّدُ بصفاته، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، قال ابـن كـثير رحمـه الله: ((أي ليس كخالق الأزواج كلِّهـا شـيء؛ لأنَّـه الفردُ الصمد الذي لا نظير له)).

وهذه الآيةُ أصلٌ فـي عقيـدة أهـل السُّـنَّة فـي الأسـماء والصـفات، وهـي الإثبـات مـع التنْزيـه، بخلاف المشبِّهة، فإنَّ عندهم الإثبات مع التشبيه، وبخلاف المعطِّلـة، فـإنَّ عنـدهم التنْزيـه مـع التعطيل، وأهل السُّـنَّة أثبتـوا الصـفات، ونَزَّهوهـا عن مشابهة المخلوقات.

وقوله: [illegible] إثباتٌ لاسْمَي السَّميع والبصير، وهما يدلاَّن علـى إثبـات صـفتَي

السَّمع والبصر.

وقوله: □ □ □□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□ □ يدلُّ على التنْزيه، أي: أنَّه له سمعٌ لا كالأسماع، وبصرٌ لا كالأبصار.

وقال تعالى: □ □□□□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□ □، قال ابن كثير رحمه الله: ((قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: هل تعلمُ للرَّبِّ مثلاً أو شبيهاً، وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جُبير وقتادة وابن جريج وغيرُهم)).

وقال الله تعالَى: □ □□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□□ □، والكفو هو المِثلُ والنَّظير، قال القرطبيُّ في تفسيره (20/246): ((لم يكن له شبيهٌ ولا عدل، ليس كمثله شيء)).

وكلمة □ □□□□□ □ جاءت في سياق النفي، فتكون عامةً في نفي كلِّ شبيه أو مثيل، وما جاء في تفسير ابن كثير من تفسير هذه الكلمة بالزَّوجة هو من قبيل التفسير بالمثال، وهذه الجملة من السورة مؤكِّدةٌ لِما تقدَّم من الجُمل، ولا سيما الجملة الأولى، فهو سبحانه وتعالى أحدٌ، ولا يكون أحدٌ كفواً له.

وقوله: ((ولا وَلَدَ له، ولا وَالِدَ له، ولا صاحبةَ له

)) الصاحبةُ هي الزوجة، وقد جاء في القرآن نفي الولد والوالد والصاحبة عن الله عزَّ وجلَّ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿[illegible]﴾، فنفى عنه الوالد والولد، ونفى عنه كلَّ مِثْلٍ ونظير، ومنه الزوجة، وفي هذه السورة الكريمة إثباتُ أحديَّته وصمديَّته، ونفيُ الأصول والفروع والنظراء عنه، فهو أحدٌ لا كُفء له، وهو صَمَدٌ لا ولد ولا والد له، والصَّمدُ هو الذي تصمد إليه الخلائق بحوائجها، وهو الغنِيُّ عن كلِّ مَن سواه، المفتقرُ إليه كلُّ مَن عَدَاه، فلكمال غناه لا يحتاجُ إلى الوالد والولد، ولكونه واحداً أحداً لا يكون أحدٌ له مِثْلاً ونظيراً، والوالد جاء نفيُه في القرآن عن الله في هذه السورة في قوله: ﴿[illegible]﴾، وأمَّا الولد فقد جاء نفيُه عن الله في آيات كثيرة، وذلك أنَّ اليهودَ يقولون: عُزيرٌ ابنُ الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، والكفار الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ يقولون: الملائكةُ بنات الله، ومن ذلك قول الله عزَّ وجلَّ في البقرة: ﴿

[illegible]، وقال في المؤمنون: [illegible]، وقال في مريم: [illegible]، وغير ذلك من الآيات منها في النساء والأنعام والتوبة ويونس والإسراء والكهف والأنبياء والصافات والزخرف والجنّ.

وأمَّا الصاحبة، فقد جاء نفيُها عن الله عزَّ وجلَّ في القرآن مع نفي الولد عنه في قوله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقوله عن الجنِّ: [illegible] ، أي: تعالَت عظمتُه.

وما جاء في كلام ابن أبي زيد - رحمه الله - من نفي الشبيه والنظير والوالد والولد والصاحبة هو نفيٌ على طريقة السَّلف، وهو نفيٌ متضمِّنٌ إثبات كمال الله عزَّ وجلَّ، فنفيُ الشبيه والنظير متضمّنٌ إثبات كمال أحديَّته، ونفيُ الوالد والولد والصاحبة متضمِّنٌ إثبات كمال غناه، وكلُّ ما جاء في القرآن من نفي شيء عن الله فإنَّه يتضمَّن

إثبات كمال ضدِّ ذلك المنفي، مثل قوله: [illegible]، فإنَّه دالٌّ على إثبات كمال قُدرته، وكذا قوله: [illegible]، أي: من تعب، فهو متضمِّنٌ إثبات كمال قدرته، ومثل قوله: [illegible]، وهو دالٌّ على إثبات كمال عدله، وقوله: [illegible]، فهو دالٌّ على إثبات كمال علمه.

وهذا بخلاف النفي عند أهل الكلام، فإنَّه لا يدلُّ على كمال، بل يُؤدِّي إلى تشبيه الله عزَّ وجلَّ بالمعدومات، كما سبق إيضاحُ ذلك في الفائدة الثانية.

* * *

2 ـ قوله: ((**ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ**)).

كلام ابن أبي زيد هذا منتَزَعٌ من قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وفي هذه الآية إثبات

اسم (الأوَّل) لله عزَّ وجلَّ، الذي يدلُّ على أنَّ كلَّ شيء آيلٌ إليه، واسم (الآخر) الدالُّ على بقائه ودوامه وآخريته، وقد جاء تفسير هذه الأسماء في هذه الآية في حديث مشتمل على دعاء، وفيه: « اللَّهمَّ أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنتَ الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنتَ الباطن فليس دونك شيء، اقْضِ عنَّا الدَّينَ وأغننا من الفقر » أخرجه مسلم في صحيحه (2713) من حديث أبي هريرة ﷺ.

ومعنى قول ابن أبي زيد هذا أنَّ الله لم يسبقه عدمٌ، ولا يلحقه عدم، وأمَّا المخلوقات فلها بداية سبقها عدم، ولها نهاية يلحقها عدم.

وأمَّا ما جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة من بقاء الجنَّة والنار ودوامهما ودوام أهلهما فيهما، فلا يُنافي كونه سبحانه الآخرَ الذي ليس بعده شيء؛ لأنَّ بقاءَه لازمٌ لذاته، بخلاف الجنَّة والنار ومَن فيهما، فإنَّه مكتَسَبٌ قد شاءه الله وأراده، ولو لم يشأه لم يحصل ولم يقع، قال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص:629): « وبقاءُ الجنَّة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما ».

وقول ابن أبي زيد : « ليس لأَوَّلِيَّتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخِرِيَّتِه انقضَاءٌ » أولَى من قول الطحاوي في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: « قديمٌ بلا ابتداء، دائمٌ بلا انتهاء »؛ لتعبيره بما يُطابق اسْمَي الله: الأول والآخر.

* * *

3 ـ قوله: « **لا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الواصفون، ولاَ يُحيطُ بأمرِه المُتَفَكِّرونَ، يَعتَبِرُ المتفَكِّرونَ بآياته، ولا يَتَفكَّرونَ في مَاهِيَةِ ذاتِه** ».

أهل السُّنَّة يَصفون اللهَ بما وصف به نفسَه أو وصفه به رسوله ﷺ، على ما يليق به سبحانه وتعالى، مع فهم المعنى والجهل بالكيف، فهُم يُثبتون الصفات ولا يَبحثون عن كيفياتها، وهم مفوِّضةٌ بالكيف دون المعنى، كما جاء ذلك واضحاً في الأثر المشهور عن مالك ـ رحمه الله ـ عندما سُئل عن كيفية الاستواء، فقال: « الاستواءُ معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة ».

ومعنى كلام ابن أبي زيد أنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يصف اللهَ بما هو عليه، بأن يعرفَ كيفيةَ اتِّصافه

بالصفات؛ لأنَّ ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ هو.

وقوله: ((ولا يحيط بأمره المتفكِّرون))، أمرُ الله منه ما هو كونيٌّ قَدَري، ومنه ما هو دينِيٌّ شرعي، فالكونيُّ مثل قول الله عزَّ وجلَّ [illegible]، والشرعيُّ مثل قوله: [illegible].

وكلٌّ من الأمر الكونيِّ والأمر الشرعي مشتملٌ على حكمة، فما قدَّره الله فلحكمة، وما شرعه الله فلحكمة، وقد يعلم العبادُ شيئاً من الحكم في الأمر الكوني القَدري والأمر الشرعي، ولكنَّهم لا يحيطون بحِكَم الله في خلقه وشرعه،؛ فإنَّ الواجبَ الإيمانُ بالقدر، والاستسلامُ للأمر والنهي، سواء عرف العبادُ حِكَم ذلك أم لَم يعرفوها.

ولكنَّهم إذا عرفوا شيئاً من ذلك زاد إيمانُهم ويقينُهم، وإذا لم يعرفوا الحكمةَ في القدر والشرع فإنَّ ذلك لا يثنيهم عن القيام بما هو واجبٌ عليهم من الإيمان بالقدر والانقياد للأحكام الشرعية.

والذي اشتمل عليه كلامُ ابن أبي زيد - رحمه الله - نفيُ الإحاطة بالحِكَم والأسرار؛ لتعبيره بقوله: «المتفكِّرون» وليس المقصود معرفة الأحكام الشرعية؛ فإنَّ ذلك مطلوبٌ فيه العلم والعمل؛ لقوله ﷺ في الحديث: «ما نهيتُكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فافعلوا منه ما استطعتم» أخرجه البخاري (7288)، ومسلم (1327).

وقوله: «يعتبرُ المتفكِّرون في آياته» آياتُ الله نوعان: شرعية وكونية، فالآياتُ الشرعية هي التي اشتمل عليها القرآن الكريم، والآيات الكونية آياته في خلقه كالليل والنهار، والشمس والقمر وغير ذلك، ويدلُّ للاعتبار بالآيات الشرعية قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

ويدلُّ للاعتبار بالآيات الكونية قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]، وقـــــــــــــوله: [illegible]

وقوله: [illegible]

[illegible]، وقـوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

وقوله: ((ولا يتفكَّرون في ماهية ذاته)) الله عزَّ وجلَّ بذاته وصفاته الخـالق، ومـا سـواه مخلـوق، وقـد مـرَّ فـي كلام ابـن أبـي زيـد - رحمـه اللـه - التفويضُ لكيفية الصفات، وأنَّه لا يبلغ كُنْـهَ صـفته الواصفون، وكما أنَّـه لا يجـوز البحـثُ فـي كيفيـة الصفات، فكذلك لا يجوزُ البحثُ في كيفية الذات، ولهذا قال هنا: ((ولا يتفكَّـرون فـي ماهيـة ذاتـه)) أي حقيقتها والكيفية التي هي عليها.

* * *

4 ـ قوله: ((**ولا يُحيطون بشيءٍ من عِلمه إلاَّ بِما شاء وَسِعَ كرْسِيُّه السَّموات والأرض، ولا يؤُودُه حفظُهما وهو العليُّ العَظيمُ**)).

هذه الجمل الأربع قطعةٌ من آية الكرسي المشتملة على عشر جمل، ومثلها في الاشتمال على عشر جمل قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

، نبَّه على ذلك ابن كثير ـ رحمه الله ـ عند تفسيره هذه الآية من سورة الشورى.

قوله: ((ولا يحيطون بشيء من علمه إلاَّ بما شاء)) من صفات الله عزَّ وجلَّ العلم، وعلمُه محيطٌ بكلِّ شيء، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، أمَّا المخلوقون فلا يعلمون من علمه إلاَّ ما علَّمهم إيَّاه، كما قال: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]، وأخبر الله عن نبيِّه نوح عليه الصلاة والسلام أنَّه قال: [illegible]، وأمر الله نبيَّه محمداً ﷺ أن يُخبر قومَه أنَّه لا يعلم الغيبَ، فقال: [illegible]، وقال: [illegible].

وأخبر الله عن الملائكة أنَّهم: [illegible]، وقال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال الله عن الجنِّ: [illegible]، وقال: [illegible].

وأمَّا السُّنَّة فقد جاء فيها أحاديث كثيرة تدلُّ على بيان أمور لا يعلمها الرسول ﷺ، مثل قصَّة الإفك، فإنَّه لَم يَعلَم براءةَ أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها إلاَّ بعد نزول القرآن في براءتها في آيات تُتلَى في سورة النور، ومثل قصة العِقْد الذي فقدته عائشةُ رضي الله عنها في إحدى سفراتها مع النَّبِيِّ ﷺ، وقد بقوا في منْزلهم للبحث عنه، وانتهى ماؤهم، فأنزل الله إليه آيةَ التيمُّم، وعند رحيلهم وُجِد العِقْدُ تحت الجمل الذي تركب عليه عائشة.

قال ابن كثير عند تفسير آية الكرسي: ((وقوله [illegible] أي: لا يطَّلع أحدٌ من علم الله على شيء إلاَّ بما أعلمَه الله عزَّ وجلَّ وأطلعه عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلاَّ بما أطلعهم الله عليه، كقوله: [illegible])).

وقوله: ((وسع كرسيه السموات والأرض)) الكرسيُّ مخلوقٌ من مخلوقات الله، وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنَّه موضع القَدَمين، كما في المستدرك للحاكم (2/282)، وقال:

« إنَّه على شرط الشيخين ولم يخرجاه »، ولم يتعقبه الذهبي، وفي إسناده عمَّار الدُّهْنِي، وهو من رجال مسلم دون البخاري.

وانظر تخريجه في السلسلة الضعيفة للشيخ الألباني (906)، والضعيف فيه هو المرفوع، وأمَّا الأثر الذي جاء عن ابن عباس من تفسير الكرسي بالعلم، ففي إسناده جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، قال فيه الحافظ في التقريب: « صدوق يهم »، وقال ابن منده في كتاب الرد على الجهمية (ص:45)ـ « لم يُتابَع عليه جعفر، وليس بالقوي في سعيد بن جُبَير »، وأورده الذهبي في ترجمة جعفر في الميزان (1/417) وقال: « وذكره ابن أبي حاتم وما نقل توثيقه، بل سكت »، ونقل ما تقدَّم عن ابن منده.

وقال الطحاوي في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: « والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ ».

وقوله: « ولا يؤودُه حفظهما » أي: لا يثقله ولا يشقُّ عليه، وهو نفيٌ متضمِّنٌ إثبات كمال قدرته، قال ابن كثير في تفسيره: « أي: لا يثقله ولا يكترثه حفظ السموات والأرض ومن فيهما ومن

بينهما، بل ذلك سَهلٌ عليه يسيرٌ لديه)).

وقـوله: ((وهـو العلـيُّ العظيـم)) اسـمان مـن أسماء الله يدلاَّن على صفتَين مـن صـفات اللـه، وهما العلوُّ والعظمة، والله تعالى متَّصـفٌ بـالعلوِّ بأنواعه الثلاثـة: علـوُّ القـدر، وعلـوُّ القهـر، وعلـوُّ الـذات، وقـد جـاء اسـم اللـه العلـيّ فـي القـرآن مقترنـاً بثلاثـة مـن أسـماء اللـه، وهـي العظيـم، والحكيم، والكبير مع تقدُّمه عليها في الذِّكر.

فاقترانُه بـالعظيم كمـا هنـا، وفـي أوَّل سـورة الشورى.

واقترانه بالكبير كما في سـورة النسـاء: [illegible]، وفـي سـورتَي الحــج ولقمان: [illegible].

واقترانه بالحكيم كما في آخر سورة الشورى: [illegible].

* * *

5 ـ قوله: ((**العالِمُ الخبيرُ، المُـدَبِّرُ القَـدِيرُ، السَّمِيعُ البصيرُ، العَلِيُّ الكَبيرُ**)).

العليم الخبير اسـمان مـن أسـماء اللـه يـدلاَّن على صفتَي العلم والخـبرة، وهمـا متقاربـان فـي المعنى، وجاء في بعض النُّسـخ: ((العليـم)) بـدل

((العالِم))،

و((العليم)) أولَى لأمرين:

الأول: أنَّ ((العليم)) جاء في القرآن كثيراً مطلقاً غير مقيَّد، وأمَّا ((العالِم)) فيأتي في القرآن مقيَّداً بعلم الغيب، كقوله تعالى: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

والثاني: أنَّه يأتي في القرآن كثيراً اقترانُ اسم ((العليم)) باسم ((الخبير)) مع تقدُّم اسم ((العليم)) كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] ، وقال: [illegible].

وقوله: ((المدبِّرُ القدير)) القدير اسمٌ من أسماء الله يدلُّ على صفة من صفات الله، وهي القدرة، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقدرة الله عامَّةٌ لكلِّ شيء، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible].

وأمَّا المُدبِّرُ فلا أعلمُ ما يدلُّ على أنَّه من أسماء الله، وقد جاء وصفُ الله تعالى بالتدبير، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، والله سبحانه وتعالى المُدبِّر للأمر المتصرِّف في الكون كيف يشاء، لا إله إلاَّ هو.

وقوله: ((السميع البصير)) السميع البصير اسمان من أسماء الله يدلاَّن على صفتَين من صفات الله، وهما السَّمع والبصر، وسَمعُ الله محيطٌ بكلِّ المسموعات، وبصرُه محيطٌ بكلِّ المرئيات، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وفي هذه الآية الكريمة الجمعُ في وصـف اللـه بالسَّمع بين الفعل الماضـي والمضـارع والاسـم، وهذان الاسمان يأتيان مقروناً بينهما في كثير من آيات القرآن، كقوله: [illegible]: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

وقوله: ((العليُّ الكبير)) العليُّ والكبير اسـمان من أسماء الله يدلاَّن على صـفتَي العلـوِّ والكِبَـر، والله تعـالى عـالٍ علـى كـلِّ شـيء قهـراً وقـدْراً وذاتاً، وهو أكـبرُ مـن كـلِّ كـبير وأعظـمُ مـن كـلِّ عظيم، والمخلوقات كلُّها حقيرةٌ أمام كبرياء اللـه وعظمته سبحانه وتعالى.

وقد مرَّ قريباً أنَّ اسمَ العليِّ يأتي مقترناً باسم الكبير، ومرَّ ذكـر بعـضُ الآيـات فـي ذلـك، ومنهـا أيضاً قول الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible].

* * *

6 ـ قوله: ((**وَأنَّه فوقَ عَرشه المجيد بذاته، وهو في كلِّ مَكان بعِلمه**)).

لَمَّا ذكر ابن أبي زيد ـ رحمه الله ـ أنَّ من أسماء الله العليّ، وقد ذكره قريباً مقترناً باسم العظيم، وباسم الكبير، بيَّن في هذا أنَّ علوَّ الله عزَّ وجلَّ وفوقيَّتَه على عرشه أنَّه علوٌّ بالذَّات، كما أنَّه عليٌّ بالقدر وعليٌّ بالقهر، وإنَّما نصَّ على علوِّه على عرشه بذاته لمَّا وُجد من يقول: إنَّ علوَّ الله علوُّ قدرٍ وعلوُّ قهرٍ، وأوَّلَ علوَّه على عرشه باستيلائه عليه، وأنَّه ليس على العرش حقيقةً بذاته، فعبَّر بعلوِّ الذَّات ردًّا على من قال: إنَّه علوٌّ مجازيٌّ وليس بحقيقيّ، وهذا نظيرُ قولِ السَّلف عن القرآن إنَّه غيرُ مخلوقٍ لمَّا وُجد من يقول: إنَّه مخلوقٌ.

وأمَّا قوله: ((وهو في كلِّ مكانٍ بعلمه)) فهو لنفي القولِ بالحلول والاتِّحاد، وهو أنَّ اللهَ حالٌّ في المخلوقات، متَّحدٌ معها، مختلِطٌ بها؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ الخالقُ، وكلُّ ما سواه مخلوقٌ،

والمخلوقـاتُ كلُّهـا كـانت عـدماً فأوجـدها اللـهُ، ووُجودُها مبايِنٌ لوجودِ الله، وهو سـبحانه وتعـالى بائنٌ من خلقه، ليست المخلوقاتُ حالَّةً في اللــه، ولا الخالقُ حالاًّ في المخلوقات.

ومعيَّةُ الله فُسِّرتْ بأنَّها معيَّةٌ بالعلم، كمـا قـال ابنُ أبي زيد القيرواني هنا، قال اللـهُ عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فقـد بُـدئت هـذه الآيـةُ بالعلم، وخُتمت بالعلم.

وفُسِّرتْ بأنَّها معيَّةٌ حقيقيَّـةٌ، والمعنـى أنَّ اللـهَ فوق عرشه بذاته، وهو مـع خلقـه دون امـتزاجٍ أو اختلاطٍ؛ فـإنَّ المخلوقـاتِ صـغيرةٌ حقيـرةٌ أمـام عظمة الله وكبريـائه، واللـهُ عـزَّ وجـلَّ مـع كـونه فوق عرشه، فهـو قريـبٌ مـن عبـاده، قـال شـيخُ الإسلام ابن تيميـة فـي الواسـطيَّة: ((وقـد دخـل فيما ذكرناه من الإيمان بـالله الإيمـانُ بمـا أخـبر اللهُ به في كتـابه وتـواتر عـن رسـوله ﷺ وأجمـع

عليه سلفُ الأمَّة، مِن أنَّه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله: [illegible]، وليس معنى قوله: [illegible] أنَّه مختلطٌ بالخَلْق، فإنَّ هذا لا توجبُه اللُّغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلفُ الأمَّة، وخلاف ما فَطَرَ الله عليه الخلقَ، بل القمر آيةٌ من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، وهو موضوعٌ في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش، رقيبٌ على خلقه، مُهيمنٌ عليهم، مطَّلعٌ إليهم، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكلُّ هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه ـ من أنَّه فوق العرش وأنَّه معنا ـ حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، لكن يُصانُ عن الظنون الكاذبة، مثل أن يُظنَّ أنَّ ظاهرَ قوله (في السماء) أنَّ السماء تُقلُّه أو تُظلُّه، وهذا باطلٌ بإجماع أهل العلم

والإيمان؛ فإنَّ اللـه قـد وسـع كرسـيُّه السـموات والأرض، وهو الذي يُمسك السـموات والأرضَ أن تـــــــــزولاَ، [illegible]

[illegible]

[illegible])).

إلى أن قال: ((وما ذُكر في الكتاب والسُّنَّة من قُربه ومعيَّته لا يُنافي ما ذُكر من علـوِّه وفـوقيَّته؛ فإنَّه سبحانه ليس كمثله شيء في جميـع نعـوته، وهو عليٌّ في دُنُوِّه، قريبٌ في علُوِّه)).

ويشـيرُ شـيخُ الإسـلام رحمـه اللـهُ بالجملـة الأخيرة وهي قولُه: ((عليٌّ في دُنُـوِّه، قريـبٌ فـي علُوِّه)) إلى ما جاء فـي حـديث نُـزول الـرَّبِّ إلـى السماء الدنيا حين يبقى الثلثُ الآخـر مـن الليـل، وحديث عائشة رضي الله عنها في صحيح مسـلم (1348): أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مـا مـن يـوم أكثر من أن يُعتقَ اللهُ فيه عبداً من النار من يــوم عرفة، وإنَّه لَيَدنو، ثمَّ يُباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟)).

* * *

7 ـ قــوله: ((**خَلَـقَ الإنسـانَ، ويَعلـمُ مـا تُوَسْوِسُ به نفسُه، وهـو أَقـرَبُ إليـهِ مِـن**

حَبْـلِ الوَرِيـدِ، ومـا تَسْـقُطُ مِـن وَرَقَـةٍ إلاَّ يَعلَمُهـا، ولاَ حَبَّـةٍ فـي ظُلُمَـات الأرضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ في كتاب مُبين)).

عِلْمُ الله محيطٌ بكلِّ شيء، فقد علـمَ أزَلاً مـا كان وما سيكون، وما لـم يكـن أن لـو كـان كيـف يكون، كما قال الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فأخبر عن أمر لا يكون، وهو رجوعُ الكفَّـار إلـى الدنيا، وأنَّهم لو رُدُّوا لعادوا لِمـا نُهـوا عنـه، وقـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقــال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وكلُّ ما هو كائنٌ في الوجود من حركة أو سكون قد سبق به علمُ الله، ولا يحصل لله علم في شيء لم يكن معلومــاً لــه مــن قبــل أزَلاً، قــال شــيخنا محمــد الأميــن الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه أضواء البيـان (1/75 ـ 76) عنـد قـوله تعـالى: [illegible]، قال: ((ظاهرُ هذه الآية قد يَتوهَّم منه الجاهلُ أنَّــه تعـالى يسـتفيد بالاختبـار علمـاً لـم يكـن يعلمـه، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً، بل هو تعـالى عالِمٌ بكلِّ ما سيكون قبل أن يكون، وقد بيَّـن أنَّـه لا يستفيد بالاختبار علماً لم يكن يعلمه بقوله جـلَّ وعلا: [illegible]،

فقوله: [illegible] بعد قوله: [illegible] دليل قاطعٌ على أنَّه لم يستفد بالاختبار شيئاً لم يكن عالِماً به، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيراً؛ لأنَّ العليمَ بذات الصدور غنِيٌّ عن الاختبار، وفي هذه الآية بيانٌ عظيمٌ لجميع الآيات التي يَذكر الله فيها اختبارَه لخلقه، ومعنى [illegible] أي: علماً يترتَّبُ عليه الثواب والعقاب، فلا يُنافي أنَّه كان عالِماً به قبل ذلك، وفائدةُ الاختبار ظهور الأمر للناس، أما عالِمُ السِّرِّ والنَّجوى فهو عالِمٌ بكلِّ ما سيكون كما لا يخفى)).

وأمَّا قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]:[illegible]

[illegible].

[illegible]: [illegible]:

[illegible]،

وقد رجَّحه ابن كثير في تفسيره، وابن القيم كما

في مختصر الصواعق (2/268)، وقد جاء في القرآن الكريم ذكرُ الضمير بلفظ التعظيم والمرادُ به الملائكة، كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ... ﴾، والذي قرأه على الرسول ﷺ جبريلُ، وقوله: ﴿ ... ﴾ ، وهو إنَّما جادل الملائكة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ... ﴾ الآية.

* * *

8 ـ قوله: ((**على العَرشِ اسْتَوى، وعَلى المُلْكِ احْتَوى**)).

من صفات الله الفعليَّة استواؤه على عرشه، ومذهب السَّلف فيه وفي سائر الصفات إثبات الجميع على ما يليق بالله من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تحريف أو تعطيل، مع فهم المعنى والجهل بالكيفية، كما قال الإمام مالك رحمه الله ـ وقد سُئل عن كيفية الاستواء ـ قال: ((

الاستواءُ معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة)).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره عند تفسير آية الاستواء على العرش من سورة الأعراف، قال: ((وأمَّا قوله تعالى: [illegible]، فللنَّاس في هذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما نسلُكُ في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمَّة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المُشبِّهين منفيٌّ عن الله؛ فإنَّ اللهَ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمَّة، منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: مَن شبَّه اللهَ بخلقه كفر، ومن جحدَ ما وصفَ اللهُ به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيه، فمَن أثبت لله تعالى ما وردت به الآياتُ الصريحةُ

والأخبارُ الصحيحةُ على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائصَ، فقد سلك سبيل الهُدى)).

وقد جاء إثباتُ استواء الله على عرشه في القرآن في سبعة مواضع، قال الله عزَّ وجلَّ في سورة طه: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾ في الأعراف ويونس والرعد والفرقان والسجدة والحديد.

ومعنى ﴿ [illegible] ﴾ عند السلف: ارتفع وعلاَ، وأمَّا المتكلِّمون فيؤوِّلون ﴿ [illegible] ﴾ بمعنى استولى، وهو باطل، قال أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ في كتابه الإبانة (ص:86): ((وقد قال قائلون من المعتزلة والجهميّة والحرورية: إنَّ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾ [illegible] أنَّه عزَّ وجلَّ في [illegible] وقَهَر، [illegible] جَحَدوا [illegible] وذهبوا إلى القُدرة، [illegible] والأرض السابعة؛ [illegible] قادرٌ [illegible] مستوياً [illegible]

[illegible]

وقال: [illegible]

وقال: [illegible]

وقال: [illegible]

[illegible] ، وقال: [illegible]

[illegible]

، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]

[illegible]،

وقال: [illegible]

[illegible].

***

9 ـ قـــوله: ((**ولـــه الأســـماء الحُســـنى والصِّفاتُ العُلَى**)).

1 ـ أسماءُ الله وصفاته من علم الغيب التي لا يجوز الكلام فيها إلاَّ بما جاء به الوحي مـن كتـاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، فيُثبَتُ لله عزَّ وجلَّ ما أثبته لنفســه أو أثبتــه لــه رســوله ﷺ مــن الأســماء والصفات على ما يليـق بـه سـبحانه وتعـالى دون تكييف وتمثيل، ودون تحريف وتعطيل، مع تنْزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، كما قال الله عزَّ وجـلَّ: {[illegible]}.

[illegible]

[illegible]: [illegible]، وقال: [illegible].

ومعنى كون أسماء الله حُسنَى أنَّها بلغـت فـي الحُسن غايته ونهايته، فلا تُوصَف أسماء الله بأنَّها حسنة فحسب، بل تُوصَف بأنَّها حُسنَى، كمـا جـاء في هذه الآيات الكريمات.

3 ـ أسماءُ الله كلُّها مشتقَّةٌ، تدلُّ علـى معـان

هي صفات، فالعزيزُ يدلُّ على العزَّة، والحكيم يدلُّ على الحكمة، والكريم يدلُّ على الكَرَم، والعظيمُ يدلُّ على العَظمة، واللَّطيف يدلُّ على اللُّطف، والرحمن والرَّحيم يدلاَّن على الرَّحمة، وهكذا.

وليس في أسماء الله اسمٌ جامد، وما ذكره بعضُ أهل العلم من أنَّ من أسماء الله ((الدَّهر)) فغيرُ صحيح؛ فإنَّ الحديثَ القدسي: ((يُؤذيني ابنُ آدم يَسبُّ الدَّهر، وأنا الدَّهر، بيدي الأمر، أُقلِّب اللَّيلَ والنَّهار)) رواه البخاري (4826) ومسلم (2246)، لا يدلُّ على أنَّ من أسماء الله الدَّهر؛ لأنَّ الدَّهرَ هو الزمان، والله تعالى هو الذي يُقلِّبُ اللَّيل والنهار، فمَن سبَّ المقلَّب (بفتح اللاَّم وتشديدها) وهو الدَّهر، رجعت مسبَّتُه إلى المقلِّب (بكسر اللاَّم وتشديدها) وهو الله، وقد بيَّن الله ذلك بقوله: ((بيدي الأمر، أقلِّب الليل والنهار)).

وأمَّا الصفات فليس كلُّ صفة يُشتقُّ منها اسم؛ فإنَّ من صفات الله الذاتية الوجه واليد والقَدَم، ولا يُؤخذ منها أسماء، ومن صفاته الفعلية الاستهزاء والكيد والمَكر، ولا يُشتقُّ منها أسماء، فلا يُسمَّى بالماكر والمستهزئ والكائد.

وأقول ـ والشيء بالشيء يُذكر ـ: إنَّ أسماءَ الرسول ﷺ الثابتة مُشتقَّةٌ، تدلُّ على معان، وليس فيها اسم جامد، وليس من أسمائه ﷺ: طه ويس، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في تحفة المودود (ص:127):ـ ((ومِمَّا يُمنع منه التسمية بأسماء القرآن وسُوَره، مثل: طه، ويس، وحم، وقد نصَّ مالكٌ على كراهة التسمية بـ: يس، ذكره السُّهيلي، وأمَّا ما يذكره العوام أنَّ يس وطه من أسماء النَّبِيِّ ﷺ فغيرُ صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنَّما هذه الحروف مثل: الم، وحم، والر، ونحوها)).

ولعلَّ مَن توهَّم التسمية بـ(طه) و(يس) من العوامّ أخذه من الخطاب للنَّبِيِّ ﷺ بعد ذكر الحروف المقطَّعة في سورتَي طه ويس، ظانًّا أنَّ هذين من أسمائه ﷺ؛ فإنَّ خطابَ النَّبِيِّ ﷺ جاء أيضاً بعد الحروف المقطَّعة في سورتَي الأعراف وإبراهيم مثلاً، ولا يُقال: إنَّ من أسمائه ﷺ لذلك: (المص)، و(الر).

4 ـ أسماءُ الله عزَّ وجلَّ غيرُ محصورة بعدد؛

فإنَّ منها مـا أطلَـع اللـهُ عـزَّ وجـلَّ النـاسَ عليـه، ومنها ما استأثر بعلمـه، ويـدلُّ لـذلك حـديثُ ابـن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أصاب أحداً قطُّ هَمٌّ ولا حزن، فقال: اللَّهـمَّ إنِّـي عبـدُك، ابنُ عبدك، ابن أَمَتك، ناصـيَتِي بيـدك، مـاض فِـيَّ حكمُك، عدلٌ فِيَّ قضاؤك، أسألك بكـلِّ اسـم هـو لك، سَمَّيتَ به نفسَك، أو علَّمته أحداً من خلقـك، أو أنزلتَـه فـي كتابـك، أو اسـتأثرتَ بـه فـي علـم الغيب عندك، أن تجعلَ القرآنَ ربيـعَ قلبِـي، ونـورَ صـدري، وجلاءَ حزنِـي، وذهـابَ هَمِّـي، إلاَّ أذهـب اللهُ هَمَّه وحزنَه، وأبدله مكانه فرَحاً، قال: فقيل: يا رسول الله! ألاَ نتعلَّمُهـا؟ فقـال: بلـى! ينبغـي لِمَن سَمعَها أن يتعلَّمها » رواه الإمـام أحمـد فـي المسـند (3712)، وعلَّـق عليـه الشـيخ شـعيب الأرنـؤوط وصـاحباه بتضـعيفه، وقـد نقلـوا عـن الحافظ ابن حجر تحسينَه، وصحَّحه الألبـاني فـي السلسـلة الصـحيحة (198)، وقـد صـحَّح هـذا الحديث ابنُ القيـم، وشـرحه شـرحاً واسـعاً فـي كتابه شفاء العليل، في الباب السـابع والعشـرين منه (ص:369 ـ 374).

والأصـلُ عـدم حصـر الأسـماء بعـدد معيَّـن إلاَّ

بدليل يدلُّ على ذلك، ولا أعلم دليلاً يدلُّ عليه، وأمَّا الحديث الذي رواه البخاري (2736، 6410، 7392) ومسلم (2677) عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: « إنَّ لله تسعةً وتسعين اسماً، مائة إلاَّ واحدة، مَن أحصاها دخل الجنَّة »، فلا يدلُّ على حصر أسماء الله في هذا العدد، بل يدلُّ على أنَّ من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً، من شأنها أنَّ مَن أحصاها دخل الجنَّة، كما لو قال قائل: عندي مائة كتاب أعددتُها لطلبة العلم؛ فإنَّه لا يدلُّ على أنَّه ليس عنده إلاَّ هذا العدد.

5 ـ لَم يثبت في سرد الأسماء حديثٌ، وقد اجتهد بعضُ العلماء في استخراج تسعة وتسعين اسماً من الكتاب والسُّنَّة، منهم الحافظ ابن حجر فقد جمع هذا العددَ في كتاب فتح الباري (11/215)، وفي التلخيص الحبير (4/172)، ومنهم الشيخ محمد بن عثيمين في كتابه القواعد المثلَى (ص:15 ـ 16)، وهذه الكتب الثلاثة متفقةٌ في أكثر الأسماء، ويوجد في أحدها ما لا يوجد في الآخر.

وأسرُدُ فيما يلي تسعة وتسعين من أسماء الله الحسنَى، مرتَّبَةً على حروف الهجاء، ومع كلِّ

اسم دليلَه من الكتاب أو السُّنَّة، وفيها زيادة على ما في الكتب الثلاثة اسْمَا: (الستِّير، والديَّان).

1ـ **اللــه**: يُطلــق علــى هــذا الاسـم لفـظ الجلالة، ويأتي مراداً به المسمَّى مبتـدأ، ويُخـبر عنه بالأسماء، مثل: [illegible]، وتُنسبُ له الأسماء، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

2ـ **الآخر**: دليلُه [illegible].

3ـ **الأحد**: دليله [illegible].

4ـ **الأعلـــى**: دليلــــه [illegible].

5ـ **الأكرم**: دليله [illegible].

6ـ **الإلــه**: دليلـــه [illegible].

7ـ **الأول**: دليله [illegible].

8ـ **البـــارئ**، دليلـــــه [illegible].

9ـ **البــاطن**: دليلـــه [illegible]

[illegible].

10ـ **البَرُّ**: دليله [illegible].

11ـ **البصير**: دليلـه . [illegible].

12ـ **التَّـوَّاب**: دليلـه [illegible].

13ـ **الجَبَّـار**: دليلـه [illegible].

14ـ **الجميل**: دليله حديث: « إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ » رواه مسلم (147).

15ـ **الحـافظ**: دليلـه [illegible].

16ـ **الحسيب**: دليله [illegible].

17ـ **الحفيـظ**: دليلـه [illegible].

18ـ **الحق**: دليله [illegible].

19ـ **الحَكَـم**: دليلـه حـديث: « إنَّ اللـهَ هـو الحَكَـم، وإليـه الحُكـم » رواه أبـو داود (4955)

وغيره، وإسناده حسن.

20ـ الحكيم: دليله [illegible]

[illegible]

21ـ الحليم: دليله [illegible]

22ـ الحميد: دليله [illegible]

23ـ الحيُّ: دليله [illegible]

24ـ الحَيِيُّ: دليله حديث: ((إنَّ الله عزَّ وجلَّ حَيِيٌّ سِتِّير، يُحبُّ الحياءَ والسّتر)) رواه أبو داود (4012) وغيرُه، وإسناده حسن.

25ـ الخالق: دليله [illegible]

26ـ الخبير: دليله [illegible]

27ـ الخلاَّق: دليله [illegible]

28ـ الديَّان: دليله قول رسول الله ﷺ: ((يَحشرُ اللهُ العبادَ ـ أو قال: الناس ـ عُراةً غُـرْلاً بُهماً، قال: قلنا: ما بُهماً؟ قال: ليس معهم شيء،

ثمَّ يُناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملـك، أنـا الـديَّان)) الحـديث، أخرجـه الحاكم في المستدرك في موضـعين (2/438)، (4/574)، وصـحَّحه وأقـرَّه الـذهبي، وحسَّـنه الحافظ في الفتح (1/174)، والألباني في صحيح الأدب المفرد (746).

29ـ الرَّبُّ: دليله [illegible]

30ـ الرَّحمـــن: دليلـــه [illegible]

31ـ الرحيم: دليله [illegible]

32ـ الرزاق: دليلـه [illegible]

33ـ الرَّفيق: دليله حديث: ((إنَّ الله رفيـقٌ يُحـــبُّ الرِّفـــق)) رواه البخـــاري (6927)، ومسلم (2593).

34ـ الرقيـب: دليلـه [illegible]

35ـ الـرؤوف: دليلـه [illegible]

[illegible].

36ـ **السُّــبُّوح**: دليلــه حــديث: ((ســبُّوح قــدُّوس ربُّ الملائكــة والــرُّوح)) رواه مســلم (487).

37ـ **الستِّير**: دليله مرَّ عند اسم الحَيي.

38ـ **السلام**: دليله [illegible]

[illegible].

39ـ **السَّــــميع**: دليلـــــه [illegible]

[illegible].

40ـ **السـيِّد**: دليلـه حـديث: ((السـيِّد اللــهُ تبـــــارك وتعـــــالَى)) رواه أبـــــو داود (4806) وإسناده صحيح.

41ـ **الشافي**: دليله حـديث: ((اشـف أنـت الشــافي لا شــافي إلاَّ أنــت)) رواه البخــاري (5742)، ومسلم (2191).

42ـ **الشـــاكر**: دليلـــه [illegible]

[illegible].

43ـ **الشَّــكور**: دليلـــه [illegible]

[illegible].

44ـ **الشـهيد**: دليلــه [illegible]

[illegible].

45ـ **الصَّمد**: دليله [illegible].

46ـ **الطيِّب:** دليله حديث: ((إنَّ اللهَ طيِّـبٌ ولا يقبل إلاَّ طيِّباً)) رواه مسلم (1015).

47ـ **الظـاهر:** دليلـه [illegible].

48ـ **العزيـز:** دليلـه [illegible].

49ـ **العظيم**: دليله [illegible].

50ـ **العفـوُّ**: دليلـه [illegible].

51ـ **العليـم:** دليلـه [illegible].

52ـ **العليُّ:** دليله [illegible].

53ـ **الغـالب:** دليلـه [illegible].

54ـ **الغفَّـار:** دليلـه [illegible].

55ـ **الغفور**: دليله [illegible].

56ـ الغنِـيُّ: دليلــه [illegible]

[illegible].

57ـ الفتَّــــاح: دليلــــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

58ـ القـادر: دليلــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

59ـ القــاهر: دليلــه [illegible]

[illegible].

60ـ القـــدُّوس: دليلــــه [illegible]

[illegible]

[illegible].

61ـ القــدير: دليلــه [illegible]

[illegible].

62ـ القريــب: دليلــه [illegible]

[illegible].

63ـ القهَّــار: دليلــه [illegible]

[illegible].

64ـ القويُّ: دليلـه [illegible]

[illegible].

65ـ **القيُّوم**: دليله [illegible]

66ـ **الكبير**: دليله [illegible]

67ـ **الكريم**: دليله [illegible]

68ـ **الكفيل**: دليله [illegible]، وحديث قصَّة الإسرائيليِّ الذي قال لِمَن أَسْلَفه: ((كفى بالله كفيلاً)) رواه البخاري (2291).

69ـ **اللطيف**: دليله [illegible]

70ـ **المبين**: دليله [illegible]

71ـ **المتَعال**: دليله [illegible]

72ـ **المتكبِّر**: دليله [illegible]

73ـ **المَتين**: دليلــه [illegible].

74ـ **المُجيب**: دليلــه [illegible].

75ـ **المجيد**: دليلــه [illegible].

76ـ **المُحســن**: دليلــه حــديث: ((إنَّ اللــه مُحسنٌ يُحبُّ المُحسنين)) رواه ابــن أبــي عاصــم في الديَّات (ص:56)، وابن عـدي فـي الكامـل (6/2145)، وأبــو نعيــم فــي أخبــار أصــبهان (2/113)، وإسناده حسن كما ذكر الشيخ الألباني في السلسـلة الصـحيحة (470)، وانظـر صـحيح الجـــامع الصـــغير (1819)ـــ و(1820).

77ـ **المُحيط**: دليلــه [illegible].

78ـ **المصــوِّر**: دليلــه [illegible].

79ـ **المُعطــي**: دليلــه حــديث: ((واللــه المُعطِــي وأنــا القاســم)) رواه البخــاري (3116).

80ـ **المُقتـدر**: دليلــه [illegible]

[illegible].

81ـ **المقدِّم**: دليله حديث «أنتَ المُقدِّمُ، وأنتَ المُؤخِّرُ» رواه البُخاري (1120) ومسلم (771).

82ـ **المُقيت**: دليله [illegible]

[illegible].

83ـ **المَلِك**: دليله [illegible]

[illegible].

84ـ **المَليك**: دليله [illegible]

[illegible].

85ـ **المَنَّان**: دليله حديث: «اللهمَّ إنِّي أسألك بأنَّ لك الحمد لا إله إلاَّ أنت المَنَّان» رواه أبو داود (1495)، وإسناده حسن.

86ـ **المُهيمن**: دليله [illegible]

[illegible]

[illegible].

87ـ **المؤخِّر**: دليله، مرَّ عند اسم المقدِّم.

88ـ **المولَى**: دليله [illegible]

[illegible].

89ـ **المؤمن**: دليله [illegible]

[illegible].

90ـ **النَّصـــير**: دليلـــه [illegible].

91ـ **الهـادي**: دليلـه [illegible].

92ـ **الواحد**: دليلـه [illegible].

93ـ **الـــوارث**: دليلـــه [illegible].

94ـ **الواســــع**: دليلـــــه [illegible].

95ـ **الـوتر**: دليلـه حـديث: « إنَّ اللـه وِتـرٌ يُحـــــبُّ الـــــوتر » رواه البخـــــاري (6410)، ومسلم (2677).

96ـ **الــــوَدود**: دليلـــه [illegible].

97ـ **الوكيـــل:** دليلـــه [illegible].

98ـ **الـولِيُّ**: دليلـه [illegible].

99ـ **الوهَّاب**: دليلـه [illegible]

[illegible]

[illegible].

وقد أورد ابن القيم في كتابه إعلام الموقعين (3/149 ـ 171) تسعةً وتسعين وجهاً تدلُّ لقاعدة سدِّ الذرائع، مُقتصراً على ذلك؛ موافقة لعدَّة أسماء الله الحُسنَى الواردة في الحديث.

وأوردتُ في كتابي: دراسة حديث (نضَّر الله امرءاً سمع مقالَتِي) رواية ودراية (ص:201 ـ 210) تسعاً وتسعين فائدة مُستنبطة من هذا الحديث، الذي ورد بألفاظ كثيرة مختصراً ومُطوَّلاً.

6 ـ من أسماء الله ما يُطلق على غيره، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، والمعاني التي تدلُّ عليها الأسماء لا يشبه فيها الخالقُ المخلوقَ، ولا المخلوقُ الخالقَ.

ومنها ما لا يُطلق إلاَّ على الله، ولا يُطلق على غيره، مثل: الله، والرحمن، والخالق، والبارئ،

والرزاق، والصمد، قال ابن كثير: في تفسيره عند تفسير البسملة في أول سورة الفاتحة: « والحاصلُ أنَّ من أسمائه تعالى ما يُسمَّى به غيره، ومنها ما لا يُسمَّى به غيرُه، كاسم الله، والرحمن، والخالق، والرزاق، ونحو ذلك ».

* * *

10 ـ قوله: « **لَم يَزَل بِجَميعِ صفاتِه وأسمائِه، تَعالى أن تكونَ صفاتُه مَخلوقَةً، وأسماؤُه مُحْدَثَةً** ».

الله عزَّ وجلَّ متَّصفٌ بصفاته، متَسَمٍّ بأسمائه أزَلاً وأبداً، فلَم يتَسمَّ باسم بعد أن كان غيرَ متَسَمٍّ به.

وأمَّا صفات الله عزَّ وجلَّ، فهي تنقسمُ إلى قسمين:

صفات ذاتية قائمة بالذات، لازمة لها أزَلاً وأبداً، ولا تتعلَّق بمشيئة وإرادة، كالوجه واليد والحياة والعلم والسَّمع والبصر والعلو.

وصفات فعليَّة متعلِّقة بالمشيئة والإرادة، كالخَلْق والرَّزق والاستواء والنُزول والمجيء، وهذه الصفات نوعُها قديمٌ، وآحادها حادثة،

وهو متَّصفٌ بصفَتَي الخلْق والرَّزق أزَلاً، لم يكن غيرَ متَّصف بهاتين الصفتين ثمَّ اتَّصف بهما، والاستواء على العرش حصل بعد خلق السموات والأرض، والنُزول إلى السماء الدنيا حصل بعد خلق السموات والأرض، والمجيئ في قول الله عزَّ وجلَّ: □□□□□ □□□□□□□ □ □ □□□□□ □□□□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□ يَحصلُ يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد، واتِّصافُه بكونه يفعل ما يريد قديمُ النَّوع، وهذه الأفعال من الآحاد التي حصلت في الأوقات التي شاء الله فعلَها فيها، والله تعالى بذاته وصفاته هو الخالق، ومَن سواه مخلوق، فليس في صفاته شيءٌ مخلوق، وأسماؤه لا بداية للتَّسَمِّي بها، فهي غير مُحدَثة.

* * *

11 ـ قوله: ((**كلَّم موسى بكلامِه الَّذي هو صفةُ ذاتِه، لا خَلْقٌ مِن خَلقِه، وَتَجَلَّى للجَبَل فصار دَكًّا مِن جلالِه، وأنَّ القرآنَ كلامُ الله، ليس بمخلُوقٍ فيَبِيدُ، ولا صفةً لمخلوقٍ فَيَنْفَدُ**)).

اللــهُ متَّصــفٌ بصــفة الكلام أزَلاً وأبــداً، وهــو متكلِّمٌ بلا ابتداء، ويتكلَّـم بلا انتهـاء؛ لأنَّـه سـبحانه وتعالَى لا بداية له ولا نهايـة لـه، فلا بدايـة لكلامـه ولا نهاية له، وصفةُ الكلام صفةٌ ذاتيَّة فعلية، فهـي ذاتيَّةٌ باعتبـار أنَّـه لا بدايـة للاتِّصـاف بهـا، وفعليـة بكونها تتعلَّق بالمشـيئة والإرادة، فكلامُـه متعلِّـقٌ بمشيئته، يتكلَّم إذا شـاء، كيـف شـاء، وهـو قـديمُ النوع، حادثُ الآحاد، وقد كلَّم موسى فـي زمـانه، وكلَّم نبيَّنا محمداً ﷺ ليلـة المعـراج، ويُكلِّـم أهـلَ الجنَّة إذا دخلوا الجنَّة، وهذه من أمثلة آحاد الكلام التي حصلت وتحصل في الأزمان التي شـاء اللـه عزَّ وجلَّ حصولَها فيها، والله تعالى يتكلَّـم بحـرف وصـوت، ليـس كلامُـه مخلوقـاً ولا معنـى قائمـاً بالـذات، قـال اللـه تعـالى: ﴿ ﴾، ففي هذه الآية إثبات صـفة الكلام للـه عزَّ وجلَّ، وأنَّ كلامَه سَمعَه موسى منه، وقوله: ﴿ ﴾ تأكيدٌ لحصول الكلام، وأنَّه منه سبحانه وتعالى، وكلام الله عزَّ وجلَّ لا بدايـة لـه ولا نهايـة له، فلا حصرَ لـه، بخلاف كلام المخلـوق، فـإنَّ لـه بدايةً وله نهاية، فيكون كلامُه محصوراً، قـال اللـه عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾

[illegible]، وقال: [illegible] ، ففي هاتين الآيتين إثباتُ صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ، وأنَّ كلامَه غيرُ محصــور؛ لأنَّ البحورَ الزاخرةَ ولو ضـوعِفَت أضـعافاً مضـاعفة، وكانت مداداً يُكتبُ به كلام الله، وكان كلُّ ما فــي الأرض من شجر أقلاماً يُكتبُ بها، فلا بدَّ أن تنفــدَ البحورُ والأقلامُ؛ لأنَّها مخلوقةٌ محصورةٌ، ولا ينفــدُ كلام اللــه الــذي هــو غيــر مخلــوق ولا محصــور، والقــرآن مــن كلام اللــه، والتــوراة والإنجيــل مــن كلام الله، وكلُّ كتاب أنزله اللــه فهــو مــن كلامــه، وكلامُه غيرُ مخلــوق، فلا يَحصــل لــه الفنــاءُ الــذي يحصل للمخلوقــات، وهــو صــفة الخــالق الــذي لا نهايــة لــه فلا ينفــدُ كلامُــه، والمخلوقــون يَبيــدون فينفدُ كلامُهم.

وأمَّا قوله: ((**وتجلَّى للجبل فصار دكًّا مــن جلاله**)) فقد قــال اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible]

[illegible] ﴿[illegible]﴾، وفي هذه الآية الكريمة إثباتُ حصول الكلام من الله لموسى عندما جاء لميقات ربِّه، وفيها أنَّ موسى لَمَّا سمع كلام الله طمِعَ في الرؤية فسألَها، فلَم تحصل؛ لأنَّ اللهَ شاء أن تكون رؤيتُه في الدار الآخرة، وهي أكملُ نعيم يَحصُلُ لأهل الجنَّة، وشاء أن لا تقوى الأبصارُ في هذه الحياة الدنيا على رؤيته، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ لموسى: ﴿[illegible]﴾، أي: في الدنيا، بل إنَّ الجبلَ مع صلابَته لَم يثبت أمام تَجَلِّي الله، فصار دكًّا، وأمَّا في الدار الآخرة فإنَّه سبحانه وتعالى يجعل عبادَه المؤمنين قادرين على رؤيته؛ بما يُعطيهم من القوَّة على ذلك، ويدلُّ لعدم رؤية الله عزَّ وجلَّ في الدنيا قوله ﷺ: « تعلموا أنَّه لن يرَى أحدٌ منكم ربَّه عزَّ وجلَّ حتى يموت » رواه مسلم (2930).

* * *

12 ـ قوله: «**والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا، ومقاديرُ الأمورِ بيدِه، ومَصدَرُها عن**

قضائِه.

عَلِمَ كلَّ شيْءٍ قَبل كَونِه، فجَرَى على قَدَرِه، لا يَكون مِن عبادِه قَولٌ ولا عَمَلٌ إلاَّ وقدْ قَضَاهُ وسبق عِلْمُه به، [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] (([illegible])).

1 ـ الإيمان بالقدر أحدُ أصول الإيمان الستة المبيَّنة في حديث جبريل المشهور، فإنَّه سأله عن الإيمان، فقال: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه)) أخرجه مسلم في صحيحه، وهو أوَّل حديث في كتاب الإيمان، الذي هو أوَّل كتب صحيحه، وجاء في إسناده أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حدَّث به عن أبيه؛ للاستدلال به على الإيمان بالقدر، عندما سأله يحيى بن يَعمر وحميد بن عبد

الرحمن الحميري عن أُناسٍ وُجدوا في العراق يُنكرون القدرَ، وأنَّ الأمرَ أُنُفٌ، فقال للسائل: ((فإذا لقيتَ أولئك فأخبِرهم أنِّي بريء منهم، وأنَّهم بُرآءُ منِّي، والذي يَحلف به عبد الله بن عمر! لو أنَّ لأحدهم مثل أُحُد ذهباً فأنفقه، ما قَبل الله منه حتَّى يُؤمنَ بالقدر))، ثمَّ حدَّث بالحديث عن أبيه، وحديثُ جبريل عن عمر من أفراد مسلم، وقد اتَّفق الشيخان على إخراجه من حديث أبي هريرة ﵁.

2 ـ جاء في القرآن آياتٌ كثيرةٌ، وفي السُّنَّة أحاديثُ عديدة تدلُّ على إثبات القَدر، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال:

[illegible]، وقال: [illegible]، وأمَّا السُّنَّة فقد عقد كلٌّ من الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما كتاباً للقدر، اشتملاَ على أحاديث عديدة في إثبات القدر، روى مسلم في صحيحه (2664) عن أبي

هريرة قال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((المـؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضَّـعيف، وفي كلٍّ خير، احرص علـى مـا ينفعُـك، واسـتَعن بالله ولا تَعجَز، وإن أصابك شيءٌ فلا تَقل: لو أنِّـي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدرُ الله وما شاء فعل؛ فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان)).

وروى مسـلمٌ (2655) بإسـناده إلـى طـاوس قال: ((أدركتُ ناساً من أصـحاب رسـول اللـه ﷺ يقولون: كلُّ شيء بقَدر، قال: وسمعتُ عبد اللــه بن عمر يقول: قـال رسـول اللـه ﷺ: كـلُّ شـيء بقدر، حتى العَجز والكيس، أو الكيسُ والعجز)).

والعجـزُ والكيـس ضـدَّان، فنشـاطُ النشـيط وكسـل الكَسـول وعجـزه، كـلُّ ذلـك بقـدر، قـال النووي في شرح الحديث (16/205):ـ ((ومعنـاه أنَّ العاجزَ قد قُدِّر عجزُه، والكَيِّسُ قد قُدِّر كيسُـه)).

وقال ﷺ: ((مـا منكـم مـن أحـدٍ إلاَّ وقـد كُتـب مقعدُه من الجنَّة، ومقعدُه مـن النَّـار، فقـالوا: يـا رسـول اللـه! أفلا نتَّكِـلُ؟ فقـال: اعملـوا فكـلٌّ ميَسَّـرٌ، ثـمَّ قـرأ [illegible] إلـى قـوله:

)) رواه البخاري (4945) ومسـلم (2647) من حديث عليّ ﵁.

والحديثُ يدلُّ على أنَّ أعمـالَ العبـاد الصـالحة مقدَّرَةٌ، وتؤدِّي إلى حصول السعادة وهي مقدَّرَة، وأعمالُهم السيِّئة مقـدرَّةٌ، وتـؤدِّي إلـى الشـقاوة وهي مقدَّرةٌ، واللهُ سبحانه وتعالى قـدَّر الأسـباب والمسبّبات، وكلُّ شيءٍ لا يخرج عـن قضـاء اللـه وقدره وخلقه وإيجاده.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ((كنت خلف رسول اللـه ﷺ يومـاً، فقـال: يـا غلام! إنِّي أُعلِّمُك كلماتٍ: احفظ اللـهَ يحْفظْـكَ، احفـظ الله تجـدْه تجاهَـك، إذا سـألتَ فاسـأل اللـهَ، وإذا اسـتعنتَ فاسـتعِن بـالله، واعلـم أنَّ الأمَّـةَ لـو اجتمعت على أن ينفعوك بشـيءٍ لـم ينفعـوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبـه اللـهُ لـك، ولـو اجتمعـوا علـى أن يَضُــرُّوك بشــيءٍ لَــم يضــرُّوك إلاَّ بشــيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفعت الأقلامُ وجفَّت الصُّحُف)) رواه الترمــــــــــــــــذي (2516)، وقال: ((هذا حديثٌ حسن صحيح)).

وهذا الحديث شـرحه الحـافظ ابـن رجـب فـي كتابه جامع العلـوم والحكـم فـي شـرح خمسـين

حديثاً من جوامع الكلِم (1/459)، وهـو الحـديث التاسع عشر من الأربعين النَّوويّة.

3 ـ الإيمانُ بالقدر له أربـعُ مراتـب لا بـدَّ مـن اعتقادها:

المرتبةُ الأولى: عِلْمُ الله الأزلِيّ في كلِّ مـا هو كائنٌ، فإنَّ كلَّ كائنٍ قد سبق به علمُ اللـه أزلاً، ولا يتجدَّد له علْمٌ بشيءٍ لَـم يكـن عالمـاً بـه أزلاً، وقد سبق إيضـاح هـذه المرتبـة عنـد الكلام علـى صفة علم الله في الفقرة رقم (7).

الثانيـة: كتابـةُ كـلِّ مـا هـو كـائنٌ فـي اللَّـوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، لقوله ﷺ: ((كتب اللهُ مقـاديرَ الخلائـق قبل أن يخلقَ اللـهُ السـماوات والأرض بخمسـين ألف سنة قال: وعرشُه على الماء)) رواه مسـلم (2653) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

الثالثة: مشيئةُ الله وإرادتُه، فـإنَّ كـلَّ مـا هـو كائنٌ إنَّما حصل بمشـيئة اللـه، ولا يقـع فـي ملـك الله إلاَّ ما أراده الله، فما شاء الله كـان، ومـا لـم يشأ لم يكن، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]

﴿ [illegible] ﴾.

الرابعة: إيجاد كلّ ما هو كائنٌ وخَلْقُه بمشيئة الله، وفقاً لما علِمَه أزَلاً وكتبه في اللَّوح المحفوظ؛ فإنَّ كلَّ ما هو كائنٌ من ذوات وأفعال هو بخلْق الله وإيجاده، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾.

4 ـ ما قدَّره الله وقضاه وكتَبَه في اللَّوح المحفوظ هو من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله، ويُمكن أن يَعلَم الخلقُ ما هو مُقدَّرٌ بأحد أمرَين:

الأمر الأول: الوقوع، فإذا وقع شيءٌ عُلم بأنَّه مُقدَّر؛ لأنَّه لو لم يُقدَّر لَم يَقع، فإنَّه ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن.

الثاني: حصولُ الإخبار من رسول الله ﷺ عن أمور تقع في المستقبل، مثل إخباره عن الدَّجَّال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى بن مريم، وغيرها من الأمور التي تقع في آخر الزمان، فهذه الأخبارُ تدلُّ على أنَّ هذه الأمور لا بدَّ أن تقع، وأنَّه سبق بها قضاءُ الله وقدَرُه، ومثل إخباره عن أمور تقع قرب زمانه ﷺ، ومن ذلك ما جاء في حديث أبي بَكرة ﷺ قال: سمعتُ النَّبِيَّ ﷺ على المنبر،

والحسن إلى جنبه، يَنظرُ إلى الناس مرَّة وإليه مرَّة، ويقول: « ابْنِي هذا سيِّد، ولعلَّ اللهَ أن يُصلحَ به بين فئتَين من المسلمين » رواه البخاري (3746).

وقد وقع ما أخبرَ به الرسول ﷺ في عام (41هـ) حيث اجتمعت كلمةُ المسلمين، وسُمِّي عام الجماعة، والصحابةُ رضي الله عنهم وأرضاهم فَهموا من هذا الحديث أنَّ الحسن ﷺ لن يموتَ صغيراً، وأنَّه سيعيش حتى يحصل ما أخبر به الرسول ﷺ من الصُّلح، وهو شيءٌ مقدَّرٌ، علم الصحابةُ به قبل وقوعه.

5 ـ قوله: « **والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه، حُلْوِهِ وَمُرِّهِ، وكلُّ ذلك قَد قَدَّرَهُ اللهُ رَبُّنا** » جاء في حديث جبريل: « وأن تؤمن بالقَدر خيره وشرِّه »، والله سبحانه خالقُ كلِّ شيء ومُقدِّرُه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾، وقال: ﴿ ﴾، فكلُّ ما هو كائنٌ من خير وشرٍّ هو بقضاء الله وقدره، ومشيئته وإرادته، وأمَّا ما جاء في حديث عليٍّ ﷺ في دعاء النَّبِيّ ﷺ الطويل وفيه: « والخير كلُّه في يديك، والشرُّ ليس إليك » رواه مسلم (771)، فلا يدلُّ على أنَّ الشَّرَّ لا يقع بقضائه

وخلقه، وإنَّما معناه أنَّ اللهَ لا يخلقُ شَرًّا محضاً لا يكون لحكمة، ولا يترتَّب عليه فائدةٌ بوجه من الوجوه، وأيضاً الشرُّ لا يُضاف إليه استقلالاً، بل يكون داخلاً تحت عمومٍ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، فيُتأدَّب مع الله بعدم نسبة الشرِّ وحده إلى الله، ولهذا جاء فيما ذكره الله عن الجنِّ تأدُّبُهم بنسبة الخير إليه، وذكر الشرِّ على البناء للمجهول، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

6 ـ من مراتب القدر الأربع كما مرَّ قريباً مشيئة الله وإرادتُه، والفرق بين المشيئة والإرادة أنَّ المشيئة لَم تأت في الكتاب والسُّنَّة إلاَّ لمعنى كونيٍّ قدَري، وأمَّا الإرادة فإنَّها تأتي لمعنى كونِيٍّ ومعنى دينِيٍّ شرعيٍّ، ومن مجيئها لمعنى كونيٍّ قدَري قوله تعالى: [illegible]، وقوله: [illegible].

ومن مجيء الإرادة لمعنى شرعيٍّ قول الله

عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾، والفرقُ بين الإرادَتَين أنَّ الإرادةَ الكونيَّة تكون عامَّةً فيما يُحبُّه الله ويَسخطُه، وأمَّا الإرادةَ الشرعيَّة فلا تكون إلاَّ فيما يُحبُّه الله ويرضاه، والكونيَّة لا بدَّ من وقوعها، والدينيَّة تقع في حقِّ مَن وفَّقه الله، وتتخلَّف في حقِّ مَن لم يحصل له التوفيقُ من الله، وهناك كلماتٌ تأتي لمعنى كونيٍّ وشرعي، منها القضاء، والتحريم، والإذن، والكلمات، والأمر وغيرها، ذكرها ابن القيم وذكر ما يشهد لها من القرآن والسنَّة في كتابه شفاء العليل، في الباب التاسع والعشرين منه.

7 ـ ما قدَّره الله وقضاه وكَتَبه في اللوح المحفوظ لا بدَّ من وقوعه، ولا تغييرَ فيه ولا تبديل، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقوله ﷺ: ((رُفعت الأقلام، وجَفَّت الصُّحف)).

وأمَّا قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، فقد فُسِّر بأنَّ

ذلك يتعلَّق بالشرائع، فينسخ اللـهُ منهـا مـا يشـاء ويُثبتُ ما يشاء، حتى خُتمت برسـالة نبيِّنـا محمـد ﷺ، الـتي نَسـخت جميـع الشـرائع قبلهـا، وفُسِّـر بالأقدار التي هي في غير اللَّوح المحفوظ، كالذي يكون بأيدي الملائكة، وانظر: شـفاء العليـل لابـن القيـم، فـي الأبـواب: الثـاني والرابـع والخـامس والسادس، فقد ذكر في كـلِّ بـاب تقـديراً خاصًّـا بعد التقدير في اللَّوح المحفوظ.

وأمَّا قوله ﷺ: « لا يَـردُّ القضَـاءَ إلاَّ الـدعاءُ، ولا يزيـــــــد فـــــــي العُمـــــــر إلاَّ البِرُّ » أخرجه الترمذي (2139)، وحسنه، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (154)، فلا يدلُّ على تغيير ما في اللَّوح المحفوظ، وإنَّما يـدلُّ علـى أنَّ اللهَ قدَّر السَّلامةَ من الشرور، وقدَّر أسباباً لتلـك السَّلامة، والمعنى أنَّ اللهَ دفـع عـن العبـد شـرًّا؛ وذلك مقدَّرٌ بسببٍ يفعله وهو الدّعاء، وهو مقـدَّرٌ، وكـذلك قـدَّر أن يطـولَ عُمـرُ الإنسـان، وقـدَّر أن يحصلَ منه سببُ لذلك، وهو البِـرُّ وصـلة الرَّحـم، فالأسبابُ والمسبَّباتُ كلُّهـا بقضـاء اللـه وقـدره، وكذلك يُقال في قوله ﷺ: « مَن سـرَّه أن يُبسَـط له في رزقه أو يُنسَأ له في أثره فليَصِـلْ رَحِمَـه »

رواه البخاري (2067)، ومسلم (2557)، وأجَلُ كلّ إنسان مُقدَّرٌ في اللوح المحفوظ، لا يتقدَّم عنه ولا يتأخَّر، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] ((.

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible])) :([illegible] [illegible]:[illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
:[illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] :[illegible]
[illegible]
[illegible] :[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]، فـاحتجُّوا بـه
مُصَوِّبين لِمَـا هـم عليـه، وأنَّهـم لـم يَنـدموا علـى
فعله، ولم يعزموا على تركه، ولَم يُقرُّوا بفسـاده،
فهذا ضدُّ احتجاج مَن تبيَّن لـه خطـأُ نفسـه ونـدم

وعزَم كلَّ العزم على أن لا يعودَ، فـإذا لاَمَـه لائـمٌ بعـد ذلـك قـال: كـان مـا كـان بقـدر اللـه، ونُكتـة المسألة أنَّ اللَّومَ إذا ارتفع صحَّ الاحتجاجُ بالقـدر، وإذا كان اللَّومُ واقعاً فالاحتجاجُ بالقـدر باطـلٌ ...)).

9 ـ وقوله: ((**تعالَى أن يكونَ في مُلْكِهِ ما لا يُريد، أو يكونَ لأَحَد عنه غِنًى خالقاً لكلِّ شـيءٍ إلاَّ هـو، رَبُّ العبـاد ورَبُّ أعمـالِهم، والمُقَدِّرُ لِحَركـاتِهم وآجـالِهم**)) الظـاهر أنَّ في قـولَه: ((خالقـاً لكـلِّ شـيء إلاَّ هـو)) سـقطاً يدلُّ عليه مـا قبلـه، تقـديره: ((وأن يكـون خالقـاً لكلِّ شيء إلاَّ هو)) وفي هذه الجُمل كلِّها ردٌّ على القدريـــة الـــذين يقولـــون: إنَّ العبـــادَ يَخلقـــون أفعالَهم، وأنَّ اللهَ لم يُقدِّرها عليهم، فإنَّ مقتضى قولهم هذا أنَّ أفعالَ العباد وقعت فـي مُلـك اللـه وهو لم يُقدِّرها، وأنَّهم بخلقهم لأفعالِهم مُستغنون عن الله، وأنَّ اللـه ليـس خالقـاً لكـلِّ شـيء، بـل العباد خلقوا أفعالَهم، والله سبحانه وتعالَى خـالق العباد وخـالق أفعـال العبـاد، فهـو خـالق الـذوات والصفات، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]:

[illegible]،

وقال: [illegible].

ويُقابل نفاةَ القدر فرقةٌ ضالَّةٌ هم الجبرية، الذين سَلَبُوا عن العبد الاختيارَ، ولَم يجعلوا له مشيئةً وإرداةً، وسَوَّوا بين الحركات الاختيارية والحركات الاضطرارية، وزعموا أنَّ كلَّ حركاتهم بمنْزلة حركات الأشجار، وأنَّ حركةَ الآكلِ والشارب والمصلِّي والصائم كحركة المُرتعش، ليس للإنسان فيها كسبٌ ولا إرادة، وعلى هذا فما فائدةُ إرسال الرُّسل وإنزال الكتب، ومن المعلوم قطعاً أنَّ للعبد مشيئةً وإرادةً، يُحمَد على أفعاله الحسنة، ويُثاب عليها، ويُذمُّ على أفعاله السيِّئة ويُعاقب عليها، وأفعالُه الاختيارية يُنسبُ إليه فعلُها وكسبُها، وأمَّا الحركات الاضطرارية كحركة المرتعش فلا يُقال: إنَّها فعلٌ له، وإنَّما هي صفةٌ له، ولهذا يقول النَّحويُّون في تعريف الفاعل: هو اسمٌ مرفوعٌ يدلُّ على مَن حصل منه الحَدَث أو قام به، ومرادُهم بحصول الحَدَث: الأفعال الاختيارية التي وقعت بمشيئة العبد وإرادته، ومرادُهم بقيام الحَدَث: ما لا يقع تحت المشيئة، كالموت والمرض والارتعاش ونحو ذلك، فإذا قيل: أَكَلَ زيدٌ وشرب وصلَّى

وصام، فزيدٌ فيها فاعلٌ حصل منه الحَـدَث، الـذي هو الأكل والشربُ والصـلاة والصـيام، وإذا قيـل: مـرض زيـدٌ أو مـات زيـدٌ أو ارتعشـت يـدُه، فـإنَّ الحدَثَ ليس من فعل زيد، وإنَّما هـو وصـفٌ قـام به.

وأهـل السُّـنَّة والجماعـة وسَـطٌ بيـن الجبريـة الغلاة في الإثبات، والقدرية النفـاة؛ فـإنَّهم أثبتـوا للعبد مشيئةً، وأثبتوا للربِّ مشيئةً عامَّـة، وجعلـوا مشيئةَ العبد تابعةً لمشيئة الله، كما قال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فلا يقع في مُلك الله ما لَم يشأه الله، بخلاف القدرية القائلين: إنَّ العبادَ يخلقـون أفعـالَهم، ولا يُعـاقب العباد علـى أشـياء لا إرادة لهـم فيهـا ولا مشـيئة، كما هو قول الجبرية، وبهـذا يُجـابُ عـن السـؤال الـذي يتكـرَّر طرحُـه، وهـو: هـل العبـدُ مسـيَّرٌ أو مُخيَّـر؟ فلا يُقـال: إنَّـه مسَـيَّرٌ بـإطلاق، ولا مُخيَّـرٌ بإطلاق، بل يُقال: إنَّه مُخيَّرٌ باعتبار أنَّ لـه مشـيئةً وإرادةً، وأعمـاله كسـب لـه يُثـاب علـى حَسَـنها ويُعاقَب علـى سـيِّئها، وهـو مسـيَّرٌ باعتبـار أنَّـه لا يحصل منه شيءٌ خارجٌ عن مشـيئة اللـه وإرادتـه وخلقه وإيجاده.

10 ـ قـوله: ((**يُضِلُّ مَـن يشـاء، فيَخْـذُلُه بعدْلِه، ويَهدي مَن يَشاء، فَيُوَفِّقُه بفضـلِه، فكَـلٌّ مُيَسَّـرٌ بتَيْسـيره إلـى مـا سَـبَقَ مِـن علمه وقَدَرِه، مِن شَقِيٍّ أو سعيدٍ**)).

هدايةُ كـلِّ مُهتـد وضـلالُ كـلِّ ضـال، كـلُّ ذلـك حصل بمشيئة الله وإرادته، والعبـادُ قـد بيَّـن اللـه لهم طريقَ السعادة وطريـق الضـلالة، وأعطـاهم عقولاً يُميِّزون بها بين النافع والضار، فمَـن اختـار طريقَ السعادة فسلكه انتهى بــه إلــى الســعادة، وقد حصـل ذلـك بمشـيئة العبـد وإرادتـه، التابعـة لمشـيئة اللــه وإرادتــه، وذلــك فضـلٌ مــن اللــه وإحســان، ومَــن اختــار طريــقَ الضـلالة وســلكه انتهى به إلى الشقاوة، وقد حصـل ذلـك بمشـيئة العبد وإرادته، التابعة لمشيئة الله وإرادته، وذلـــك عدلٌ من الله سبحانه، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، أي: طريقَـــي الخيـــر والشرِّ، وقال: [illegible]، وقـــــــال: [illegible].

والهدايـةُ هـدايتان: هدايـةُ الدَّلالـة والإرشـاد، وهذه حاصلةٌ لكـلِّ أحـد، وهدايـة التوفيـق، وهـي حاصلةٌ لِمَن شاء اللهُ هـدايتَه، ومـن أدلَّـة الهدايـة الأولـى قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ لنـبيِّه ﷺ: [illegible]، أي: أنَّك تدعو كلَّ أحد إلى الصراط المستقيم، ومـن أدلَّـة الهدايـة الثانية قول اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقد جمع الله بين الهدايتَين في قوله: [illegible]، فقـوله: [illegible] أي: كلَّ أحد، فحُـذف المفعـول لإرادة العموم، وهذه هي هداية الدلالة والإرشاد، وقوله: [illegible] أظهرَ المفعولَ لإفادة الخصوص، وهي هداية التوفيق.

وقـد أورد شـيخنا الشـيخ محمـد الأميـن الشـنقيطي - رحمـه اللـه - فـي كتـابه دفـع إيهـام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة الشـمس حكايتَين توضِّحان فسادَ مذهب المعتزلة في باب القضاء والقدر، فقال: ((ولَمَّا تنـاظر أبـو إسـحاق الإسفرائينِي مع عبد الجبار المعـتزلي، قـال عبـد الجبار: سبحان مَن تنَزَّه عـن الفحشـاء، وقصْـدُه

أنَّ المعاصي كالسرقة والزنى بمشيئة العبد دون مشيئة الله؛ لأنَّ اللـه أعلَـى وأجَـلُّ مـن أن يشـاء القبائح في زعمهم، فقال أبو إسحاق: كلمـةُ حـقٍّ أُريد بها باطل، ثم قـال: سـبحان مَـن لا يقـع فـي ملكه إلاَّ ما يشاء، فقال عبد الجبار: أتـراه يخلقـه ويُعاقبُنِي عليه؟ فقال أبو إسـحاق: أتـراك تفعلـه جبراً عليه؟ أأنتَ الرَّب وهـو العبـد؟! فقـال عبـد الجبار: أرأيتَ إن دعانِي إلى الهُدى، وقضى علـيَّ بـالرَدَى، أتـراه أحسـن إلـيَّ أم أسـاء؟ فقـال أبـو إسحاق: إن كان الذي منعك منـه مُلكـاً لـك فقـد أسـاء، وإن كـان لـه: فـإن أعطـاك ففضـل، وإن منعك فعدل، فبُهت عبد الجبار، وقال الحاضرون: والله! ما لهذا جواب!

وجاء أعرابِيٌّ إلى عمـرو بـن عُبيـد وقـال: ادعُ اللهَ لي أن يرُدَّ عليَّ حمارةً سُرِقت منِّـي، فقـال: اللَّهــمَّ إنَّ حمــارتَه سُــرقت ولَــم تُــرِدْ ســرقتَها فاردُدْها عليه، فقال الأعرابِيُّ: يا هذا! كُـفَّ عنِّـي دُعــاءَك الخــبيث؛ إن كــانت سُــرقَت ولَــم يُــرِدْ سرقتَها، فقد يريد رَدَّها ولا تُرَدُّ)).

* * *

13 ـ قوله: ((**الباعثُ الرُّسُل إليهِم لإقَامَــةِ**

الحُجَّةِ عَلَيهم)).

1 ـ أعظمُ نعم الله على عباده أن أرسل إليهم رسُــلاً وأنــزل كتُبــاً؛ لهــدايتهم إلــى الصــراط المستقيم، وإخراجهـم مـن الظلمـات إلـى النـور بإذن ربِّهم، وإقامة الحجَّـة عليهـم، قـال اللـه عـزَّ وجلَّ: [illegible]، وقـال سبحانه: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible].

2 ـ الإيمانُ بالرُّسل من أصول الإيمـان، وكـذا الإيمان بالكتب، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وفي حديث جبريل المشهور أنَّه لَمَّا سأل الرسولَ ﷺ عن الإيمان، قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكُتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه» وهو في صحيح مسلم من حديث عمر (رضي الله عنه).

3 ـ رسُل الله عزَّ وجلَّ منهم مَن قصَّهم علينا في القرآن ومنهم من لم يقصُصْ، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وجملةُ الذين قصَّهم علينا في القرآن خمسة وعشرون، جاء في سورة الأنعام ثمانية عشر منهم في قوله تعالى: [illegible]

[illegible]، والباقون: محمد وآدم وهود وشعيب وصالح وذو الكفل وإدريس.

والواجب هو الإيمان بالرُّسل والأنبياء جميعاً مَن قُصَّ ومَن لم يُقصَّ، ومَن كذَّب واحداً منهم فقد كذَّب جميعَهم، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، فقد كذَّبت كلُّ أمَّة رسولَها، وأضاف إليها تكذيب المرسلين؛ لأنَّ تكذيبَ واحد منهم تكذيبٌ لجميعهم، ومَن آمن برسول وكذَّب بغيره فهو مُكذِّبٌ بذلك الرسول الذي يزعم أنَّه آمن به.

4 ـ وأمَّا الفرق بين النَّبِيِّ والرسول فقد اشتهر أنَّ النَّبِيَّ هو مَن أُوحي إليه بشرع ولم يُؤمَر بتبليغه، والرسولَ هو مَن أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه، لكن هذا التفريق قد جاء في بعض الأدلَّة ما يدلُّ على عدم صحَّته، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

، وذلك يدلُّ على أنَّ النَّبِيَّ مرسَلٌ مأمورٌ بالتبليغ، وقال: الآية، فهذه الآيةُ تدلُّ على أنَّ أنبياءَ بنِي إسرائيل من بعد موسى يَحكمون بالتوراة ويدعون إليها، وعلى هذا فيُمكن أن يُقال في الفرق بين الرسول والنَّبِيِّ: إنَّ الرَّسولَ مَن أُوحي إليه بشرع وأُنزل عليه كتاب، والنَّبِيَّ هو الذي أُوحي إليه بأن يُبلِّغ رسالةً سابقة، وهذا هو المتَّفق مع الأدلَّة، لكن يبقى عليه إشكال، وهو أنَّ من المرسَلين مَن وُصف بأنَّه نبِيٌّ رسول، كما قال الله عزَّ وجلَّ في نبيِّنا محمد ﷺ: ، وقال: ، وقال في موسى: ، وقال في إسماعيل: ، ونبيُّنا محمد ﷺ نَزَل عليه الوحيُ أوَّلاً ولم

يُؤمَر بالتبليغ، ثم أُمر بعد ذلك بالتبليغ بقوله: [illegible]، ولهذا قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في الأصول الثلاثة: ((نُبِّئ بـ [illegible]، وأُرسل بـ [illegible]))، وعلى هذا فيُقال: النَّبِيُّ مَن أُوحي إليه ولم يُؤمَر بالتبليغ في وقت ما، أو أُمر بأن يبلِّغ شريعة سابقة.

* * *

14 ـ قوله: ((**ثُمَّ خَتَمَ الرِّسالةَ والنَّذَارَةَ والنُّبُوَةَ بمحمَّد نَبيِّه ﷺ، فجَعَلَه آخرَ المرْسَلين، بَشِيراً ونَذِيراً، وداعياً إلى الله بإذنِه وسِرَاجاً منيراً، وأنزَلَ عَليه كتابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ، وهَدَى به الصِّرَاطَ المستَقيمَ**)).

أعظمُ نعمة أنعم الله تعالى بها على الجنِّ والإنس في آخر الزمان أن بعث فيهم رسوله الكريم محمداً ﷺ، فدلَّهم على كلِّ خير، وحذَّرهم من كلِّ شرٍّ، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible].

وأمَّةُ نبيِّنا محمد ﷺ أمَّةُ دعوة وأمَّةُ إجابة، فأمَّةُ الدعوة كلُّ إنسيٍّ وجنِيٍّ من حين بعثته ﷺ إلى قيام الساعة، وأمَّة الإجابة هم الذين وفَّقهم الله للدخول في دينه الحنيف، فشريعتُه ﷺ لازمةٌ للجنِّ والإنس، والدعوة إليها مُوجَّهةٌ لهم جميعاً، ليست لأحد دون أحد، بل هي للجميع، قال رسول الله ﷺ: ((والذي نفس محمد بيده لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمَّة: يهودي ولا نصراني، ثمَّ يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلتُ به، إلاَّ كان من أصحاب النار)) رواه مسلم (240).

فاليهود والنصارى بعد بعثة نبيِّنا محمد ﷺ، لا ينفعُهم زعمُهم أنَّهم أتباعُ موسى وعيسى، بل يتعيَّنُ عليهم الإيمانُ بنبيِّنا محمد ﷺ، الذي نسخت شريعتُه الشرائعَ قبلها، وخُتم به النبيُّون، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وقوله: ((**وأنزَلَ عَليه كتابَه الحَكِيمَ، وشَرَحَ به دينَه القَويمَ**))، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، فهذه الآية تدلُّ على أنَّ القرآنَ مُهيمنٌ على

الكتب السابقة، وسنَّة رسول الله شارحةٌ للكتاب وموضِّحة له، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، ولا بدَّ من العمل بما جاء في الكتاب والسُّنَّة، ومن كفر بالسُّنَّة فقد كفر بالقرآن، والله عزَّ وجلَّ فرض الصلوات الخمس والزكاة والصيام والحج، وبيانُها وبيان غيرها حصل بالسُّنَّة، فالله قد أمر بإقام الصلاة، وبيَّنت السُّنَّة أوقاتَ تلك الصلوات وعدد ركعاتها، وبيَّنت كيفياتها، وقال ﷺ: ((صلُّوا كما رأيتُمونِي أُصلِّي)) رواه البخاري (631).

وأمر بإيتاء الزكاة، وبيَّنت السُّنَّة شروطَ وجوبها، وأنصباءها ومقاديرها، وأمر بالصيام، وبيَّنت السُّنَّة أحكامَه ومُفطِّراته.

وأمر بالحجِّ، وبيَّن الرسول ﷺ كيفياته، وقال: ((لتأخذوا مناسككم، فإنِّي لا أدري لعلِّي لا أحجُّ بعد حَجَّتِي هذه)) رواه مسلم (1297).

وقوله: ((**وهدى به الصراطَ المستقيم**))، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿ [illegible] ﴾، فسبيلُ الهداية مقصورٌ على اتِّباع النَّبِيِّ ﷺ، ولا يُعبَدُ اللهُ إلاَّ بما جاء به رسوله الكريم ﷺ، ولا طريق يُوصلُ إلى الله إلاَّ باتِّباع ما جاء به ﷺ.

وحاجةُ المسلم إلى الهداية إلى الصراط المستقيم أعظمُ من حاجته إلى الطعام والشراب؛ لأنَّ الطعامَ والشرابَ زادُه في الحياة الدنيا، والصراطَ المستقيم زادُه للدار الآخرة، ولهذا جاء الدعاءُ لطلب الهداية إلى الصراط المستقيم في سورة الفاتحة، التي تجب قراءتُها في كلِّ ركعة من ركعات الصلاة، سواء كانت فريضةً أو نافلةً، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾، فالمسلمُ يدعو بهذا الدعاء باستمرار ليهديه ربُّه صراطَ المنعَم عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين، وأن يُجنِّبَه طريق المغضوب عليهم والضالِّين، من اليهود والنصارى وغيرهم من أعداء الدِّين.

وهدايةُ النَّبِيِّ ﷺ الجنَّ والإنسَ إلى الصراط

المستقيم هو النور الذي وصفه اللـه عـزَّ وجـلَّ بـه فـي قـوله: [illegible]، فقد وصفه الله عزَّ وجلَّ في هـذه الآيـة بـأنَّه سـراجٌ منيـر، يُضـيء بـه للعبـاد الطريـقَ إليـه سـبحانه وتعـالى، وهـذا أيضـاً هـو معنـى النور الذي وصف به القرآن في قوله: [illegible]، فنور القرآن ما اشتمل عليه من الهداية إلـى الصـراط المستقيم.

* * *

15 ـ قـوله: ((**وأنَّ السَّـاعةَ آتيَـةٌ لا رَيْـبَ فيهـا، وأنَّ اللـهَ يَبعَـثُ مَـن يَمـوتُ، كمـا بدأَهم يعودون**)).

1 ـ علمُ قيام الساعة اختصَّ به الله عزَّ وجلَّ ، ففـي صـحيح البخـاري (4697) أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((مفاتيحُ الغيب خمـسٌ لا يعلمهـا إلاَّ الله))، وآخرها: ((ولا يعلمُ متى تقـوم السـاعةُ إلاَّ الله)).

وكان ﷺ عندما يُسأل عنهـا يُجيـب بـذكر بعـض

أماراتها، فلا يَعلمُ أحدٌ غير الله في أيِّ سـنة وفـي أيِّ شهر وفي أيِّ يوم مـن الشـهر يكـون قيامهـا، وقد جاء في السُّنَّة عن الرسول ﷺ أنَّها تقوم يوم الجمعة، قال: ((خيرُ يـوم طلعـت عليـه الشـمس يوم الجمعة؛ فيـه خُلـق آدم، وفيـه أُدخـلَ الجنَّـة، وفيـه أُخـرجَ منهـا، ولا تقـوم السـاعةُ إلاَّ فـي يـوم الجمعة)) رواه مسلم (854).

2 ـ والساعةُ تُطلقُ ويُراد بها الموت عند النفخ فـي الصـور، كمـا قـال ﷺ: ((لا تقـومُ السـاعة إلاَّ على شـرار النـاس)) رواه مسـلم (2949) وكـلُّ مَن مات قبـل ذلـك فقـد جـاءت سـاعتُه وقـامت قيامتُه، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء.

وتُطلقُ ويُرادُ بها البعث، كما قال الله عزَّ وجلَّ في آل فرعون: [illegible]، وقال: [illegible]، وهم إنَّما أنكروا البعثَ كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible].

3 ـ قـوله: ((**وأنَّ السَّـاعةَ آتيَـةٌ لا رَيْـبَ**

فيهـا، وأنَّ اللـهَ يَبعَـثُ مَـن يَمـوتُ، كمـا بدأَهم يعـودون))، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال: [illegible]، وقد نصَّ في هـذه الآيـة علـى بعث مَن في القبور؛ إذ الغالب على النـاس أنَّهـم يُدفنون في القبور، والبعثُ يكون لكلِّ مَـن مـات قُـبرَ أو لـم يُقبَـر، كمـا قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وعبارةُ المؤلِّف: ((وأنَّ اللهَ يبعث مَن يموت)) تشملُ كلَّ مَن مات قُبر أو لَـم يُقبَر، ولعلَّه اختار هذه العبارةَ لشمولِها.

4 ـ كثيراً ما يأتي في القرآن تقريرُ أمر البعث ببيان ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التنبيهُ بخلق الإنسان أوَّلَ مـرَّة، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

[illegible]،

وقال: [illegible]،

وقال تعالى: [illegible]، وقال سبحانه: [illegible]،

وقال: [illegible]، وقال تعالى: [illegible].

الأمر الثاني: التنبيه بإحياء الأرض بعد موتها، قال الله عزَّ وجلَّ:

[illegible]

[illegible]

[illegible]، وقال سبحانه: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقال عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]،

وقال تعالى: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible].

الأمــر الثــالث: التنــبيهُ بخلــق الســموات والأرض وهو أعظم من خلق الناس، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال تعــالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال: [illegible] الآيات.

5 ـ البعثُ يوم القيامة يكون بإعـادة الأجسـاد التي كانت فـي الـدنيا لتلقـى مـع الأرواح الثـواب والعقاب، وليس لأجساد جديدة لم تكن موجـودةً

في الـدنيا، وهـذا هـو الـذي اسـتبعده الكفَّـارُ وأنكروه، قال الله عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، فبيَّن سبحانه أنَّه عالِم بكلِّ ذَرَّة مـن ذرَّات أجسـادهم الـتي تنقصـها الأرض منهـم، فيُعيـدُها كمـا كـانت فيبعـث ذلـك الميـت بجسده الذي كان عليه في الدنيا، وقال تعـالى: [illegible]، والمعنى كما ذكر ابن كثير عن جماعـة مـن السـلف أنَّ إبراهيـم عليـه الصـلاة والسـلام قطـع الطيـورَ الأربعـة وخلـط لحومَهـا، وجعل على كلِّ رأس جبل منها قطعة، ثم دعاهنَّ فتجمَّعت أجزاءُ كـلِّ طـائر، حـتى عـادت الطيـورُ على ما كانت عليه، وأتت إليه سعياً.

وقال تعالى: [illegible]

[illegible]،

وهذه الآياتُ تدلُّ على أنَّ الأجسادَ التي في الدنيا هي التي أُعيدَت وشهدت الأسماعُ والأبصارُ والجلودُ بالمعاصي التي عملها أصحابُها.

ومثل هذه الآيات قوله تعالى: [illegible]، وقوله تعالى: [illegible].

ويدلُّ على ذلك من السُّنَّة حديث قصَّة الرَّجل الذي أوصى بَنِيه إذا مات أن يحرقوا جسدَه ويَرموا جزءاً من رماده في البَرِّ وجزءاً منه في البحر، فأمر الله عزَّ وجلَّ البحرَ بأن يُخرج ما فيه، والبَرَّ بأن يُخرج ما فيه، حتى عاد الجسدُ كما كان،

والحــديث رواه البخــاري (7506)، ومســلم (2756) من حديث أبي هريرة ﵁.

* * *

16 ـ قــوله: ((**وأنَّ اللــهَ ســبحانه وتعـالَى ضاعَفَ لعباده المؤمنين الحسَنات، وصَفَحَ لهم بالتَّوبَـة عـن كبـائرِ السـيِّئات، وغَفَـرَ لهم الصَّغائِرَ باجْتناب الكبائِر، وجَعَـلَ مَـن لَم يَتُبْ مِنَ الكبائر صَائراً إلى مَشيئَتِه** [illegible]

[illegible])).

1 ـ من فضل الله عزَّ وجـلَّ علـى عبـاده أنَّـه يُضاعف لهـم الحسـنات، ومـن عـدله أنَّـه يَجـزي على السيِّئة مثلَها، قال الله عزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقــال: [illegible]

﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴾،
وقال: ﴿ [illegible]
[illegible] ﴾، وقال ﷺ:
((كلُّ عمل ابن آدم يُضاعف؛ الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عزَّ وجلَّ: إلاَّ الصوم فإنَّه لِي وأنا أجزي به ...)) الحديث، رواه مسلم (1151) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي صحيح البخاري (6491) ومسلم (131) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عزَّ وجلَّ قال: ((إنَّ الله كتب الحسنات والسيِّئات، ثمَّ بيَّن ذلك، فمَن همَّ بحسنة فلَم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومَن همَّ بسيِّئة فلَم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيِّئة واحدة)).

ومن فضل الله وإحسانه أنَّ العبدَ إذا كان

يعملُ أعمالاً صالِحةً، وشغله عنها مرضٌ أو سفر كتب اللهُ له في حال سفره ومرضه مثل ما كتب له في حال صحَّته وإقامته؛ لقوله ﷺ: ((إذا مرض العبدُ أو سافر كُتب له مثلُ ما كان يعملُ مقيماً صحيحاً)) رواه البخاري (2996) عن أبي موسى ﵁.

2 ـ الفرقُ بين الكبيرة والصغيرة، أنَّ الكبيرةَ هي ما جُعل له حدٌّ في الدنيا أو توعد عليه بلعنة أو غضب أو نار أو حبوط عمل ونحو ذلك، والصغيرة ما لم تكن كذلك.

والكبائر تُكفِّرُها التوبةُ؛ قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال تعالى: [illegible]، وقال تعالى: [illegible].

وللتوبة النَّصوح شروطٌ ثلاثة:

الأول: أن يُقلعَ عـن الـذنب بـأن يـتركه ويبتعـد عنه.

الثاني: أن يندمَ على ما مضى من فعل الذنب.

الثالث: أن يعقدَ العزم على أن لا يعودَ إليه.

وإذا كان الذنب يتعلَّق بحقوق الآدميِّين فيُضاف إلى ما تقدَّم شرطٌ رابع، وهو أن يَردَّ الحقوقَ إلى أهلها إن كانت أموالاً، أو يستبيحَهم منها إذا كـانت غيبة لهم أو كذباً عليهم، ونحو ذلك، قال اللـه عـزَّ وجـــــــــــــــــــلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، والآيةُ تدلُّ على أنَّ الكفـرَ وهـو أعظـمُ الـذنوب يغفـره اللـه بالتوبة منه، والانتهاء عنه، وكلُّ الـذنوب دون هـذا الذنب فهي أولَى بالمغفرة إذا تيبَ منها.

والكبيرةُ إذا كان لها حدٌّ في الدنيا وأُقيـم علـى مَن ارتكبها، كان ذلك كفَّارةً له؛ لأنَّ إقامةَ الحدود عند أهل السُّنَّة والجماعة فيها جبر النَّقص، وفيهـا أيضاً الزَّجر لِمَن أُقيم عليه الحد وغيره عـن فعـل تلـك الكـبيرة، ويـدلُّ لـذلك حـديث عبـادة بـن

الصامت ﵁: أنَّ رسول الله قال وحوله عصابة من أصحابه: ((بايعونِي على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمَن وفَّى منكم فأجره على الله، ومَن أصاب من ذلك شيئاً فعُوقب به في الدنيا فهو كفَّارةٌ له، ومَن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستَرَه الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك)) رواه البخاري (18)، ومسلم (1709).

3 ـ الصغائرُ تُكفَّرُ بالأعمال الصالحة وباجتناب الكبائر، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وروى مسلم في صحيحه (228) عن عثمان بن عفَّان ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ((ما من امرئ مسلم تحضره صلاةٌ مكتوبة، فيُحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلاَّ كانت كفَّارةً لِما قبلها من الذنوب ما لَم يؤت كبيرة، وذلك الدَّهر كلّه)).

وروى مسلم أيضاً (233) عن أبي هريرة ﵁: أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: ((الصلوات

الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفِّرات ما بينهنَّ إذا اجتُنبت الكبائر)).

والصغيرةُ تضخم وتعظم إذا أُصِرَّ عليها، والكبيرةُ تتضاءل وتتلاشى إذا نُدم على فعلها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: ((لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار)).

4 ـ إذا مات المسلمُ مرتكباً كبيرةً ولم يَتُبْ منها، فإنَّ أمرَه إلى الله عزَّ وجلَّ، إن شاء عذَّبه وإن شاء عفا عنه، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible]، وقال ﷺ في حديث عبادة بن الصامت الذي تقدَّم قريباً: ((... ومَن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستَرَه الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه)).

* * *

17 ـ قوله: ((**ومَن عاقَبَه اللهُ بنارِه أخرجه مِنها بإيمانِه، فأدخَلَه به جَنَّتَه** [illegible]

[illegible] **النَّبِيّ ﷺ مَن شَفَعَ لَه مِن أهلِ الكبائِر مِن أمَّتِه**)).

مَن ارتكب كبيرةً وتاب منها تاب الله عليه، ومَن ارتكب كبيرةً ومات من غير توبة فأمرُه إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، والذين يدخلون النارَ صنفان:

أحدهما: الكفَّار، وهؤلاء يبقون في النار أبد الآباد، لا سبيل لهم إلى الخروج منها، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقال: [illegible].

والصنف الثاني: مسلمون عُصاة، وهؤلاء إذا دخلوا النارَ عُذِّبوا فيها على قدر جُرمهم، ثم يخرجون منها بما عندهم من الإيمان وشفاعة الشافعين، قال رسول الله ﷺ: ((يُدخل اللهُ أهلَ الجنَّة الجنَّة، يُدخلُ مَن يشاء برحمته، ويُدخل أهلَ النار النار، ثم يقول: انظروا مَن وجدتُم في قلبه مثقال حبَّة من خردل من إيمان فأخرجوه،

فيُخرَجون منها حُمَماً قد امتُحشـوا، فيُلْقَـون فـي نهر الحياة أو الحيا، فيَنبتُون فيه كمـا تنبُـت الحبَّـة إلى جانب السَّيل، ألَم تروها كيـف تخـرج صـفراء مُلتوية؟)) رواه البخاري (22) ومسلم (304) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

وقـال رسـول اللـه ﷺ: ((لكـلِّ نَبِـيٍّ دعـوةٌ مستجابة، فتعجَّلَ كلُّ نَبِيٍّ دعـوتَه، وإنِّـي اختبـأتُ دعوتِي شفاعة لأمَّتِي يوم القيامة، فهي نائلـةٌ إن شاء الله مَن مات من أمَّتِي لا يُشرك بالله شيئاً)) رواه البخاري (6304)، ومسلم (338) ـ واللفظ له ـ من حديث أبي هريرة ﵁.

وأحاديثُ الشفاعة في خروج العُصاة من النـار متواترةٌ، وأمَّا ما جاء مـن ذكـر الخلـود فـي النـار لبعض العُصاة، كما في قـوله سـبحانه وتعـالى: ﴿ [illegible] ﴾، وكما في قوله ﷺ: ((مَـن تـردَّى من جبل فقتل نفسَه فهـو فـي نـار جهنَّـم يـتردَّى فيها خالداً مُخلَّـداً فيهـا أبـداً، ومـن تَحسَّـى سُـمًّا فقتلَ نفسَه، فسُمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنَّم خالداً مُخلَّداً فيها أبداً، ومَن قتـل نفسَـه بحديـدة، فحديدتُه في يده يَجأُ بها في بطنه فـي نـار جهنَّـم

خالداً مُخلَّداً فيهـا أبـداً)) رواه البخـاري (5778) ومسلم (175) من حديث أبـي هريـرة ﷺ، فـإنَّ ذلك الخلودَ خلودٌ نسـبِيٌّ، يُـرادُ بـه طـول البقـاء، لكنَّه ليس كخلود الكفَّار الـذين يبقـون فـي النـار إلى غير نهاية؛ لأنَّ كـلَّ ذنـب دون الشِّـرك تحـت مشيئة الله، كما قال الله: [illegible].

* * *

18 ـ قـوله: ((**وأنَّ اللـهَ سـبحانه قـد خَلَـقَ الجَنَّةَ فأَعَدَّها دارَ خُلُود لأوليائِه، وأكرَمهم فيها بالنَّظر إلَى وَجْهِه الكريم، وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبِيَّه وخلِيفَتَـه إلـى أرضِـه، بِما سَـبَقَ فِـي سـابِق عِلمِـه، وخَلَـق النَّـارَ فأعَدَّها دَارَ خُلُود لِمَن كَفَرَ بـه وألْحَـدَ فـي آياتِه وكتُبـه ورُسُـلِه، وجَعَلَهـم مَحجُـوبِين عن رُؤيَتِه**)).

1 ـ الجنَّةُ والنَّـارُ مخلوقتـان موجودتـان الآن، أعدَّ الله الجنَّةَ لأوليائه، وأعدَّ النَّارَ لأعـدائه، فمـن الآيات التي فيها إعداد الجنَّة لأوليائه قوله تعـالى: [illegible]

[illegible]: [illegible]، وقوله: [illegible].

ومن الآيات التي فيها إعداد النار لأعدائه قــوله تعــالى: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقــوله: [illegible]،

ويدلُّ من السُّــنَّة لكــون الجنَّــة والنَّــار موجــودتَين الآن حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة الكسوف، وفيه: ((قالوا: يا رســول اللــه! رأينــاك تناولتَ شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كَعْكَعْتَ، قال ﷺ: إنِّي رأيتُ الجنَّةَ، فتناولتُ عنقوداً، ولو أصــبته لأكلتُم منه ما بقيت الــدنيا، وأُريــتُ النــار، فلَــم أرَ منظَــراً كــاليوم قــطُّ أفظــع، ورأيــتُ أكــثرَ أهلهــا

النســــــاء ... » الحـــــــديث، رواه البخـــــــاري (1052)، ومسلم (907).

وأمَّا ما جاء عن بعض المبتدعة كالمعتزلة مــن أنَّهما لا تُخلقان إلاَّ يوم القيامة؛ لأنَّ خلقَهمـا قبـل ذلك عبثٌ، حيث إنَّهما تبقيان مدَّة طويلـة دون أن ينتفـع بالجنَّـة أحـدٌ ودون أن يتضـرَّر بالنَّـار أحـد، فذلك قولٌ باطل، ويدلُّ لبطلانه وجوه:

الأول: مـا جـاء فـي الآيـات والأحـاديث الدَّالـة على خَلْقِهما ووجودِهما قبـل يـوم القيامـة، ومـن ذلك ما تقدَّم قريباً.

الثاني: أنَّ وجودَ الجنَّة فيه ترغيبٌ بها وتشويقٌ إليها، ووجودَ النار فيه تحذيرٌ منها وتخويف.

الثالث: أنَّه قد جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على حصول الانتفاع بنعيم الجنَّة قبل يـوم القيامة، وما يدلُّ على التضرُّر بعـذاب النـار قبـل يوم القيامة، قال الله عزَّ وجلَّ في آل فرعـون: [illegible]، فالآيةُ تدلُّ على أنَّهم يُعذَّبون في النار وهم في قبورهم، وإذا حصل البعـث انتقلـوا إلــى عذاب أشدَّ.

وأمَّـا الجنَّـة فقـد جـاء فـي الحـديث أنَّ أرواح

الشهداء في أجواف طير خُضر، لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت، ثم تـأوي إلى تلك القناديل، رواه مسلم (1887) عـن عبـد اللـه بـن مسـعود ﷺ، وروى الإمـام أحمـد فـي مسـنده (15778) عـن الإمـام الشـافعي، عـن الإمام مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((إنَّما نسَمة المؤمن طائرٌ يعلقُ في شـجر الجنَّـة حـتى يُرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثُه))، وهو حديث صحيح، في إسـناده ثلاثـة مـن الأئمـة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة لأهل السنَّة، قال الإمام ابن كثير في تفسـيره عنـد قـول اللـه عزَّ وجلَّ: ▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯ ▯ ▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯ ▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯: ((وقد رُوِّينا فـي مسـند الإمـام أحمـد حـديثاً فيـه البشارة لكلِّ مؤمن بأنَّ روحَـه تكـون فـي الجنَّـة تسرَح أيضاً فيها وتأكل من ثمارها، وترى ما فيهـا من النَّضرة والسرور، وتشاهدُ ما أعدَّ الله لها مـن الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيـه ثلاثة من الأئمَّة الأربعة أصحاب المذاهب المتَّبَعـة)) ثم ذكر سندَ الحديث ومتنَه.

وفي حديث البراء بن عـازب ﷺ الطويـل فـي

موعظته ﷺ عند القبر الذي يُلحَد، قال في المؤمن: «فأَفرِشوه من الجنَّة، وأَلبِسوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويُفسَح له في قبره مدَّ بصره»، وقال في الكافر: «فأفرِشوا له من النَّار، وافتحوا له باباً إلى النَّار، فيأتيه من حرِّها وسَمومِها، ويضيق عليه قبرُه حتى تختلف أضلاعُه»، وهو حديث حسن، رواه أحمد في مسنده (18534).

والأحاديث في عذاب القبر والاستعاذة بالله منه كثيرة، وهذه الأدلَّة تدلُّ على أنَّ المؤمنين يُنعَّمون في قبورهم، والكافرين يُعذَّبون فيها، والنَّعيمُ والعذابُ يكون للأرواح والأجساد.

2 ـ الجنَّة والنَّارُ باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان، وأهل الجنَّة منَعَّمون فيها إلى غير نهاية، والكفَّار مُعذَّبون في النار إلى غير نهاية، ومن الآيات التي جاءت في بقاء الجنَّة وخلودِ أهلها فيها قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]، وقـوله: [illegible]، وقـوله: [illegible]، وقـــوله: [illegible].

ومن الآيات التي جاءت في بقـاء النـار وخلـود الكفـــــــار فيهـــــــا قـــــــول اللـــــــه عزَّ وجلَّ: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقـــوله: [illegible]، وقـوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible]، وقوله: [illegible].

وبقاءُ الجنَّة والنَّار وخلودُ أهلهما فيهما إلى غير نهاية لا يُنافي كون الله عزَّ وجلَّ الآخرَ الذي ليس بعده شيء؛ لأنَّ بقاءَ الله عزَّ وجلَّ لازمٌ لذاته، وبقاءَ الجنَّة والنار وأهلِهما فيهما حصل بإبقاء الله لهما، وليس لهما إلاَّ الفناء لولا إبقاء الله لهما، وقد تقدَّمت الإشارةُ إلى هذا عند قول المؤلِّف: ((ليس لأوليَّته ابتداء، ولا لآخريَّته انقضاء)).

3 ـ قوله: ((**وهي الَّتِي أَهْبَطَ منها آدَمَ نبِيَّه وخلِيفَتَه إلى أرضِه، بِما سَبَقَ فِي سابِقِ عِلمِه**))، هذا أحدُ أقوال ثلاثة في المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم إلى الأرض، وهو

أظهرُها.

والقول الثاني: أنَّها جنَّة في مكان عالٍ من الأرض.

والقول الثالث: التوقُّف.

وقد ذكر ابن القيم الخلافَ وأدلَّةَ أصحاب القول الأول والثاني، وإجابةَ كلٍّ منهما عمَّا استدلَّ به الآخر، ولَم يُرجِّح شيئاً، وذلك في كتابه حادي الأرواح (ص:16 ــ 32)، وفي قصيدته الميمية ما يدلُّ على ترجيحه القولَ الأول، حيث قال:

فحيَّ على جنَّات عدن فإنَّها ... منازلك الأولَى وفيها المخيَّم

ولكنَّنا سَبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلَّم

4 ـ رؤية المؤمنين ربَّهم بأبصارهم في الدار الآخرة، هي أكبر نعيم يحصل لهم في دار النَّعيم، وقد دلَّ على ذلك الكتاب والسُّنَّة والإجماع، فمن أدلَّة الكتاب قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾، قال الشافعي رحمه الله: ((لَمَّا حُجب هؤلاء في حال

السخط، دلَّ على أنَّ المـؤمنين يرونـه فـي حـال الرِّضَى))، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ الحُسنَى: الجنَّة، والزيادة: النَّظرُ إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، فسَّرها بذلك رسـول اللـه ﷺ، كما فـي صـحيح مسـلم (297) عـن صُـهيب ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((إذا دخـل أهـلُ الجنَّـة الجنَّـة، قـال: يقـول اللـه تبـارك وتعـالى: تريـدون شـيئاً أزيدُكم؟ فيقولون: ألَم تبيِّض وجوهَنا؟ ألَم تُـدخلنا الجنَّة وتنجنا من النار؟ قـال: فيكشـف الحجـاب، فما أُعطُوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلـى ربِّهـم عـزَّ وجـلَّ، ثـم تلا هـذه الآيـة ﴿ [illegible] ﴾)).

وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ وهو يدلُّ علـى إثبـات الرؤيـة بـدون إدراك، فهو يُرى ولا يُدرَك، أي: لا يُحاطُ به رؤيــةً، كما أنَّه يُعلـمُ ولا يُحـاطُ بـه علمـاً، ونفـيُ الإدراك وهو أخصُّ، لا يستلزم نفي الرؤية وهي أعمُّ.

وقوله: ﴿ [illegible] ﴾، وموسى عليه الصلاة

والسلام سأل اللهَ أمراً مُمكناً، ولَم يسأله مستحيلاً، والله عزَّ وجلَّ شاء ألاَّ يُرَى إلاَّ في الدار الآخرة؛ لأنَّ رؤيتَه أكملُ نعيم يكون فيها، وقوله: ﴿ ﴾، أي: في الدنيا.

وقد ذكر ابن القيم - رحمه الله - هذه الأدلَّة من الكتاب وغيرها في كتاب حادي الأرواح (ص:179 ـ 186)، ثم ذكر الأدلَّة من السُّنَّة عن سبعة وعشرين صحابيًّا، وساق أحاديثهم، ثم ذكر الآثارَ عن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم من أهل السُّنَّة والجماعة، وهي تدلُّ على الاتِّفاق والإجماع على ذلك من الصحابة ومَن سار على طريقتهم.

* * *

19 ـ قوله: ﴿ **وأنَّ اللهَ تبارك وتعالى يَجيءُ يَومَ القيامَةِ وَالمَلَكُ صَفًّا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الأُمَمِ وَحِسَابِهَا وعقُوبَتِها وثَوابِها، وتُوضَعُ الموازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ العِبَادِ، فمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأولئك هم المُفلِحون، ويُؤْتَوْنَ صَحائِفهم بأعمَالِهم، فمَن أُوتِي كتابَه بيمينه فسوف يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً، ومَن أُوتِي كتابَه ورَاء**

ظَهْرِه فأولئِك يَصْلَوْنَ سَعيراً)).

1 ـ مجيءُ الله عزَّ وجلَّ يـوم القيامـة لفصـل القضاء من صفات أفعاله، يفعلُ ما يشاء ويحكــم ما يريد، والقولُ في المجيـء كـالقول فـي سـائر الصفات، أنَّه على ما يليق بالله، مـن غيـر تكييـف أو تمثيل، ومن غير تأويل أو تعطيل، قال الله عــزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((يعنِي لفصل القضــاء بين خلقه، وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيِّد ولد آدم علـى الإطلاق محمـد صـلوات اللـه وسـلامه عليـه، بعـدما يسـألون أولـي العـزم مـن الرُّسـل واحداً بعد واحـد، فكلُّهـم يقـول: لسـت بصـاحب ذاكم، حتى تنتهي النَّوبةُ إلـى محمـد ﷺ، فيقـول: أنا لها، أنا لها، فيذهبُ فيشفعُ عند الله تعالى فــي أن يأتي لفصل القضاء، فيشفِّعُه اللـه تعـالى فـي ذلك، وهي أول الشفاعات، وهي المقام المحمود كما تقدَّم بيانه في سورة سبحان، فيجيـء الـرَّبُّ تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكـةُ يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً)).

وأولو العزم من الرُّسل المستَشـفَع بهـم قبـل نبيِّنــا محمــد ﷺ هــم نــوح وإبراهيــم وموســى وعيسى، وهم المذكورون في ســورتَي الأحــزاب

والشورى، في قول الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]

وقوله: [illegible]، [illegible]

2 ـ يُعرَض العبادُ على اللـه فيُحاسِـبُهم علـى أعمـالهم، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]

[illegible]، وقـــــــــال: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقـال: [illegible]

[illegible]، وقال: [illegible]

[illegible]، وقـال: [illegible].

وقـال رسـول اللـه ﷺ: ((مَـن حوسـب عُـذِّب، قالت عائشة: فقلت: أوَليس يقول الله: [illegible]، قالت: فقال: إنَّما ذلـكِ العَرْض، ولكن مَن نُوقش الحسـاب يهلـك)) رواه البخاري (103)، ومسلم (2876).

3 ـ تُحصَى أعمال العباد ثمَّ توزَن، فمَن ثقلـت موازينه نجا، ومن خفَّت موازينه هلـك، قـال اللـه

عزَّ وجلَّ: [illegible]

وقال: [illegible]

وقال: [illegible]

وقال: [illegible].

وقال رسول الله ﷺ: ((الطُّهور شطرُ الإيمان، والحمد لله تملأُ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تَملآن أو تَملأ ما بين السموات والأرض)) رواه مسلم (223)، وقال رسول الله ﷺ: ((كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللِّسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده،

سـبحان اللـه العظيـم)) رواه البخـاري (7563)، ومسلم (2694).

والأعمـالُ وإن كـانت أعراضـاً فـالله يجعلهـا أجساماً توضَع فـي الميـزان، والحكمـة مـن وزن أعمال العباد إظهار عدل الله وإيقاف العبد علـى أعماله؛ فإنَّه سبحانه وتعالى عليمٌ بكلِّ شيء.

والـوزنُ كمـا يكـون للأعمـال يكـون لصـحائف الأعمال، كما في حديث البطاقة والسِّجِلاَّت، قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ اللهَ سيُخلِّصُ رجلاً من أمَّتِي على رؤوس الخلائق يـوم القيامـة، فينشـر عليـه تسعة وتسعين سجلاًّ، كلُّ سجِلٍّ مثلُ مـدِّ البصـر، ثمَّ يقـول: أتُنكـرُ مـن هـذا شـيئاً؟ أَظلَمَـكَ كَتَبَتِـي الحـافظون؟ فيقـول: لا يـا ربِّ! فيقـول: أَفَلَـك عُـذر؟ فيقـول: لا يـا ربِّ! فيقـول: بلـى، إنَّ لـك عندنا حسنة، فـإنَّه لا ظُلـم عليـك اليـوم، فتخـرج بطاقة فيهـا: أشـهد أن لا إلـه إلاَّ اللـه وأشـهدُ أنَّ محمداً عبدُ الله ورسولُه، فيقول: احضُـر وزنـك، فيقول: يا ربِّ! ما هذه البطاقة أمام السِّـجِلات؟ فقال: إنَّك لا تُظلَم، قال: فتُوضَـع السِّـجِلاَّت فـي كفَّـة والبطاقـة فـي كفَّـة، فطاشـت السِّـجِلاَّت وثقلت البطاقةُ، فلا يثقُلُ مـع اسـم اللـه شـيء))

أخرجه الترمذي (2639) وحسَّنه، والحاكم (1/6) وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (135).

* * *

20 ـ قوله: « وأنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُه العبادُ بِقَدْرِ أعمالِهم، فناجُون مُتفاوِتُون في سُرعَة النَّجاةِ عليه مِن نار جَهَنَّم، وقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فيها أعمالُهم ».

الصِّراطُ حقٌّ ثابتٌ بسُنَّة رسول الله ﷺ، وهو جسرٌ منصوبٌ على متن جهنَّم، يَمرُّ عليه المسلمون للوصول إلى الجنَّة على قَدْر أعمالهم، فمنهم مَن يَمُرُّ كالبرق، ومنهم مَن يَمُرُّ كالرِّيح، ومنهم مَن يَزحف زحفاً، ففي صحيح البخاري (806)، ومسلم (299) من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: « فيُضربُ الصِّراطُ بين ظهرانَي جهنَّم، فأكون أوَّلَ مَن يجوز من الرُّسل بأمَّته، ولا يتكلَّمُ يومئذ أحدٌ إلاَّ الرُّسُل، وكلامُ الرُّسل يومئذ: اللَّهمَّ سلِّم سلِّم، وفي جهنَّم كلاليب مثل شَوك السَّعدان، هل رأيتُم شَوكَ

السَّعدان؟ قالوا: نعم، قال: فإنَّها مثل شوك السَّعدان، غير أنَّه لا يَعلمُ قدر عِظَمها إلاَّ الله، تَخطفُ الناسَ بأعمالِهم، فمنهم مَن يُوبَقُ بعمله، ومنهم مَن يُخردَل ثم ينجو ».

وفي صحيح مسلم (329) من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما، وفيه: « وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحم، فتقومان جنبَتَي الصِّراط يميناً وشمالاً، ويَمُرُّ أوَّلُكم كالبرق، قال: قلت: بأبي أنت وأمِّي! أيُّ شيء كمَرِّ البرق؟ قال: أوَ لَم ترَوا إلى البرق كيف يَمُرُّ ويرجع في طرفة عين؟ ثمَّ كمَرِّ الرِّيح، ثمَّ كمرِّ الطير وشدِّ الرِّجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراط يقول: ربِّ سلِّم سلِّم! حتى تعجز أعمالُ العباد، حتَّى يجيء الرَّجل فلا يستطيع السيرَ إلاَّ زحفاً، قال: وفي حافتَي الصِّراط كلاليب معلَّقة، مأمورةٌ بأخذ مَن أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكدُوسٌ في النَّار ».

وفي صحيح مسلم (302) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، وفيه: « ثمَّ يُضرَبُ الجسرُ على جهنَّم وتحلُّ الشفاعة، ويقولون: اللَّهمَّ سلِّم

سلِّم، قيل: يـا رسـول اللـه! ومـا الجسـرُ! قـال: دحـضٌ مزلَّـة، فيـه خطـاطيفُ وكلاليـبُ وحسـك، تكون بنَجد فيها شُويْكةٌ يُقال لها السَّـعدان، فيَمُـرُّ المؤمنـون كطـرْف العيـن، وكـالبرق، وكالرِّيـح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والرِّكاب، فناجٍ مُسـلَّمٌ، ومخدوشٌ مرسَل، ومكدوسٌ في نار جهنَّم ».

* * *

21 ـ قوله: « **والإيمانُ بِحَوْض رسـولِ اللـه ﷺ، تَـرِدُهُ أمَّتُـهُ لاَ يَظْمَـأُ مَـن شَـرب مِنـه، ويُذَادُ عنه مَنْ بَدَّلَ وغَيَّرَ** ».

أحاديثُ حوض نبيِّنا ﷺ متواترةٌ عن رسول الله ﷺ، أورد البخـــــــــــــــــــــــاري - رحمه الله - في بـاب: فـي الحـوض، مـن كتـاب الرقاق من صحيحه منها تسعة عشر طريقاً من (6575 ـ 6593)، وذكـر الحـافظ فـي الفتـح أنَّ الصحابةَ فيها يزيدون على خمسين صـحابيًّا، ذكـر خمسة وعشرين منهم نقلاً عن القاضـي عيـاض، وثلاثة نقلاً عـن النـووي، وزاد عليهمـا قريبـاً مـن ذلك، فزادوا على الخمسين صحابيًّا (11/468 ـ 469)، وأورد الإمامُ ابن كـثير فـي كتـاب النهايـة أحـاديثَ الحـوض عـن أكـثر مـن ثلاثيـن صـحابيًّا

(2/29 ـ 65)، ذكرها بأسانيد الأئمَّة الذين خرَّجوها غالباً.

ومِمَّا جاء في صفة حوض النَّبِيِّ ﷺ قولُه ﷺ: « حَوضِي مسيرة شهر، ماؤُه أبيضُ من اللَّبن، وريحُه أطيبُ من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، مَن شرب منها فلا يظمأ أبداً » رواه البخاري (6579) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، ورواه مسلمٌ في صحيحه (2292) ولفظُه: « حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤُه أبيضُ من الوَرِق، وريحُه أطيب من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء، فمَن شرب منه فلا يظمأُ بعده أبداً ».

وفي صحيح مسلم (2300) من حديث أبي ذر ﷺ، وفيه:

« يشخبُ فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لَم يظمأ، عرضُه مثل طوله، ما بين عمَّان إلى أيلة، ماؤه أشدُّ بياضاً من اللَّبن، وأحلَى من العسل ».

ومن الناس مَن يُذادُ عن ورود الحوض، فقد روى البخاري في صحيحه (6576) عن ابن مسعود ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: « أنا فرَطُكم على الحوض، وليُرفعَنَّ رجالٌ منكم، ثمَّ ليُختلَجنَّ

دونِي، فـأقول: يـا ربِّ أصـحابي! فيُقـال: إنَّـك لا تدري ما أحدثوا بعدك)).

والمراد بهؤلاء الأصحاب أُنـاسٌ قليلـون ارتـدُّوا بعد موت النَّبِـيّ ﷺ، وقُتلـوا علـى أيـدي الجيـوش المظفَّرة التي بعثها أبـو بكـر الصـديق ﷺ لقتـال المرتدِّين.

والرافضةُ الحاقـدون علـى الصـحابة تزعـمُ أنَّ الصحابةَ ارتدُّوا بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ نفراً يسـيراً منهم، وأنَّهم يُـذادون عـن الحـوض، والحقيقـة أنَّ الرافضةَ هم الجديرون بالذَّود عن حـوض رسـول الله ﷺ؛ لأنَّهم لا يغسلون أرجلَهم في الوضوء، بل يمسحون عليها، وقد قال رسول اللـه ﷺ: ((ويـلٌ للأعقـاب مـن النـار)) أخرجـه البخـاري (165) ومسـلم ((242)

من حديث أبي هريـرة ﷺ، وليسـت فيهـم سِـيمَا التحجيل التي قال فيها رسول الله ﷺ: ((إنَّ أمَّتِي يُدعون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين من آثار الوضـوء)) أخرجه البخاري (136) من حـديث أبـي هريـرة ﷺ.

وقد نبت في هذا الزمـان نابتـةٌ يزعـم أنَّـه مـن

أهل السُّنَّة وهو ليس منهم، بل هو على طريقة الرافضة الحاقدين على الصحابة، وهو حسن بن فرحان المالكي، نسبة إلى بنِي مالك في أقصَى جنوب المملكة، وقد كتب رسالة سيِّئة بعنوان: « الصحابةُ بين الصحبة اللغوية والصُّحبة الشرعية » زعم فيها أنَّ الصحابةَ هم المهاجرون والأنصار قبل الحُديبية فقط، وأنَّ كلَّ مَن أسلَمَ وهاجر بعد الحُديبية أنَّه ليس له نصيبٌ في الصحبة الشرعية، وأنَّ صحبتَهم كصحبة المنافقين والكفار، فأخرج بذلك الكثيرين من أصحاب رسول الله ﷺ، وفي مقدِّمتهم العباس بنُ عبد المطلب عمُّ رسول الله ﷺ، وابنُه عبد الله بن عباس حبر الأمَّة وترجمان القرآن، رضي الله تعالى عنه وعن أبيه وعن الصحابة أجمعين، كما أخرج أبا موسى الأشعريِّ وأبا هريرة وخالد ابن الوليد وغيرَهم مِمَّن لا يُحصون، وهو قولٌ مُحدَث في القرن الخامس عشر، لَم يسبقه إليه إلاَّ شابٌّ حديث السِّنِّ مثله اسمه عبد الرحمن بن محمد الحكمي، ومِمَّا جاء في كتابه السيِّء إنكارُ القول بعدالة الصحابة، وزعمُه أنَّ أكثرَ الصحابة يُذادون عن حوض الرسول ﷺ،

وأنَّه يُؤمَرُ بهم إلى النار، وأنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل مثل همل النعم، وبهذا يتبيَّن مُماثلتُه للرافضة الحاقدين على الصحابة، وقد رددتُ عليه في كتاب بعنوان: « الانتصار للصحابة الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

ومِمَّا جاء في الكتاب مِمَّا يتعلَّق بالذَّود عن الحوض ما يلي:

السابع: (أي من وجوه الردِّ عليه في إنكاره عدالة الصحابة) قوله (ص:63): « ومن الأحاديث في الذمِّ العامِّ: قول النَّبِيِّ ﷺ في أحاديث الحوض في ذهاب أفواجٍ من أصحابه إلى النَّار، فيقول النَّبِيُّ ﷺ: (أصحابي! أصحابي! فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك)، الحديث متفق عليه، وفي بعض ألفاظه في البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل هَمَل النَّعَم).

فيأتي المعارِض للثناء العام بهذا الذمِّ العامِّ، ويقول: كيف تجعلون للصحابة ميزةً وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليلُ، وأنَّ البقيَّةَ يؤخذون إلى النَّار ؟! ».

وقال عن هذا الحديث أيضاً (ص:64):ـ « كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة

إلاَّ القليلُ (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق ».

ويُجابُ عنه بأنَّ لفظَ الحديث في صحيح البخاري في كتاب الرقاق (6587) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: « بينا أنا نائمٌ فإذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمَّ، فقلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: وماشأنُهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثمَّ إذا زمرةٌ، حتى إذا عرفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم، فقال: هلمَّ، قلتُ: أين؟ قال: إلى النار والله! قلت: ماشأنُهم؟ قال: إنَّهم ارتدُّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم ».

قال الحافظ في شرحه: « قوله: (بينا أنا نائمٌ) كذا بالنون للأكثر، وللكشميهني (قائم) بالقاف، وهو أوجه، والمراد به قيامُه على الحوض يوم القيامة، وتوجه الأولى بأنَّه رأى في المنام في الدنيا ما سيقع له في الآخرة »، وقال أيضاً: « قوله: (فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم) يعني من هؤلاء الذين دَنَوْا من الحوض وكادوا

يَرِدونه فصُدُّوا عنه »، وقال أيضاً: « والمعنى أنَّه لا يرِدُه منهم إلاَّ القليل؛ لأنَّ الهمل في الإبل قليلٌ بالنسبة لغيره ».

واللفظُ الذي ورد في الحديث: « فلا أُراه يخْلُصُ منهم إلاَّ مثل همل النعم » أي من الزمرتين المذكورتين في الحديث، وهو لا يدلُّ على أنَّ الذين عُرضوا عليه هاتان الزمرتان فقط، والمالكي أورد لفظ الحديث على لفظ خاطئ لَم يرد في الحديث، وبناءً عليه حكم على الصحابة حكماً عاماً خاطئاً، فقال فيه: « وفي بعض ألفاظه في البخاري: (فلا أرى ينجو منكم إلاَّ مثل همل النعم)، فجاء بلفظ « منكم » على الخطاب بدل « منهم »، وبناءً عليه قال: «كيف تجعلون للصحابة ميزة وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل، وأنَّ البقية يُؤخذون إلى النار »، وقال:

« كما أخبر النَّبِيُّ ﷺ أنَّه لا ينجو من أصحابه يوم القيامة إلاَّ القليل (مثل همل النعم)، كما ثبت في صحيح البخاري ـ كتاب الرقاق!! »، وهذا كذب

على الرسول ﷺ؛ فإنَّه لَم يُخبر أنَّ أصحابَه لَم يَنْجُ منهم إلاَّ القليل، ولعل هذا الذي وقع من المالكي حصل خطأً لا عمداً.

وأمَّا ما جاء في بعض الأحاديث مِن أنَّه يُذاد عن حوضه أُناسٌ من أصحابه، وأنَّه يقول ((أصحابي!)) وفي بعض الألفاظ ((أُصيْحابي!))، فيُقال: ((إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك))، فهو محمولٌ على القلَّة التي ارتدَّت منهم بعد وفاة النَّبِيِّ ﷺ، وقُتِلوا في ردَّتِهم على أيدي الجيوش المظفرة التي بعثها أبو بكر الصديق رضي الله عنه).

وأقول: إذا كان مصيرُ أكثر أصحاب رسول الله ﷺ إلى النار، وأنَّه لا ينجو منهم إلاَّ القليل: مثل هَمَل النَّعم بزعمِ هذا الزاعم، فليت شعري ما هو المصير الذي يُفكِّر به المالكي لنفسه؟!

نسأل الله السلامةَ والعافية ونعوذ بالله من الخذلان.

بل إنَّ الصُّحبةَ الشرعيَّة بزعم المالكي لَم تحصل إلاَّ للمهاجرين والأنصار قبل صلح الحُديبية، ومَن بعدهم ليسوا من الصحابة بزعمه، وعلى هذا فإنَّ قولَه: إنَّه لا ينجو من الصحابة إلاَّ القليل مثل هَمَل النَّعم، وأنَّ البقيَّة يُؤخذون إلى

النار، يكون المراد به الصحابة الذين كانوا قبل الحديبية، فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ الذين هم خيرُ هذه الأمَّة لا يَسلَمون من النار، فمَن الذي يَسلَمُ منها؟!

بل إنَّ اليهودَ والنصارى لَم يقولوا في أصحاب موسى وعيسى مثلَ هذه المقالة القبيحة.

وهذا يُبيِّن لنا منتهى السوء الذي وقع فيه المالكي، وإنَّ مَن يسمَع أو يطَّلع على كلامه في الصحابة، يتَّهمه في عقله أو يستدلُّ به على منتهى خُبثه وحقده على خير هذه الأمَّة، لا سيما زعمه أنَّ العبَّاس بنَ عبد المطلب وابنَه عبد الله رضي الله عنهما ليسا من الصحابة، وزعمه أنَّ أكثرَ الصحابة إلاَّ قليلاً منهم مثل همل النَّعم يُؤخذون إلى النار!

وأيضاً إذا كان أكثر الصحابة إلاَّ قليلاً منهم يُؤخذون إلى النار في زعم هذا الزاعم، مع أنَّ الكتابَ والسُّنَّة لم تصل إلى هذه الأمَّة إلاَّ عن طريق الصحابة؛ لأنَّهم الواسطةَ بين الناس وبين الرسول ﷺ، فأيُّ حقٍّ وهدى يكون بأيدي المسلمين؛ فإنَّ القدح في الناقل قدحٌ في

المنقـول، قـال أبـو زرعـة الـرازي المتـوفَّى سـنة (264هـ) رحمـه اللـه: « إذا رأيـت الرجـلَ ينتقـصُ أحـداً مـن أصـحاب رسـول اللـه ﷺ فـاعلم أنَّـه زنـديقٌ؛ وذلـك أنَّ رسـول اللـه ﷺ عنـدنا حـقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسـننَ أصحابُ رسول الله ﷺ، وإنَّما يريدون أن يجرحـوا شـهودَنا ليُبطلـوا الكتـاب والسـنة، والجـرحُ بهـم أولى، وهم زنادقةٌ ». الكفاية للخطيـب البغـدادي (ص:49).

وسأكشف أباطيلَه الأخرى التي اشـتمل عليهـا كتابُه « قـراءة فـي كتـب العقائـد » وأدحضُـها إن شاء الله تعالى في كتابي: « الانتصار لأهل السُّنَّة والحديث في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

* * *

22 ـ قـوله: « **وأنَّ الإيمانَ قَـولٌ باللِّسـانِ، وإخلاَصٌ بالقلب، وعَمَـلٌ بـالجوارِح، يَزيـد بزيادَة الأعمالِ، ويَنقُصُ بنَقْصِها، فيكـون فيها النَّقصُ وبها الزِّيادَة، ولا يَكْمُلُ قَـولُ الإيمـانِ إلاَّ بالعمـل، ولا قَـولٌ وعَمَـلٌ إلاَّ بنِيَّـة، ولا قـولٌ وعَمَـلٌ وَنِيَّـةٌ إلاَّ بمُوَافَقَـة**

السُّنَّة. وأنَّه لا يكفرُ أَحـدٌ بـذَنب مِـنْ أهْـل القِبْلَة)).

1 ـ الإيمانُ عند أهل السُّنَّة والجماعـة يتـألَّف مــن اعتقــاد بــالقلب وقــول باللِّســان وعمــل بالجوارح، فهذه الأمورُ الثلاثة داخلـةٌ عنـدهم فـي مُسـمَّى الإيمـان، قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، ففي هذه الآيات دخول أعمال القلوب وأعمال الجوارح في الإيمان.

وروى مسلم في صحيحه (58) عـن أبـي هريـرة ﵁ قـال: قـال رسـول اللـه ﷺ: ((الإيمـانُ بضـعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبة، فأفضـلُها قـول لا إله إلاَّ اللـه، وأدناهـا إماطـة الأذى عـن الطريـق، والحيـاءُ شـعبة مـن الإيمـان))، فقـد دلَّ الحـديثُ على أنَّ ما يقوم بالقلب واللِّسان والجـوارح مـن الإيمان، وأمَّا ما جاء في القرآن مـن آيـات كـثيرة فيها عطف العمل الصالح على الإيمان، كمـا فـي

قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾، وقــوله: ﴿ [illegible] ﴾ ، فلا يــدلُّ العطــف علــى عــدم دخول الأعمال في مسمَّى الإيمــان، بــل هــو مــن عطف الخاص على العام؛ وذلك أنَّ التفاوتَ بيــن النــاس فــي الإيمــان يكــون غالبــاً لتفــاوتهم فــي الأعمــال، وفــي الأقــوال أيضــاً؛ لأنَّ القــولَ عمــلُ اللِّسان، بل إنَّهم يتفــاوتون فيمــا يقــوم بقلــوبهم، قال الحافظ في الفتح (1/46) نقلاً عن النــووي: ((والأظهــرُ المختــار أنَّ التصــديق يزيــد وينقــص بكثرة النَّظــر ووضــوح الأدلَّــة، ولهــذا كــان إيمــانُ الصدِّيق أقوى من إيمــان غيــره؛ بحيــث لا يعــتريه الشُّبهة، ويؤيِّده أنَّ كلَّ أحد يعلمُ أنَّ مــا فــي قلبــه يتفاضل، حتى إنَّه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظــم يقينــاً وإخلاصــاً وتــوكُّلاً منــه فــي بعضــها، وكـــذلك التصـــديق والمعرفـــة بحســـب ظهـــور البراهين وكثرتها)).

2 ـ الذين أخرجوا الأعمال من أن تكون داخلةً

فـي مسـمَّى الإيمـان طائفتـان: المرجئـة الغلاة، الذين يقولون: إنَّ كلَّ مؤمن كاملُ الإيمـان، وأنَّـه لا يضرُّ مع الإيمـان ذنـبٌ، كمـا لا ينفـع مـع الكفـر طاعة، وهـذا القـول من أبطـل الباطـل، بـل هـو كفر.

ومرجئة الفقهاء من أهل الكوفة وغيرهم كأبي حنيفـة، الـذين قـالوا بعـدم دخـول الأعمـال فـي مسمَّى الإيمان، مع مخالفتهم للمرجئة الغلاة في أنَّ المعاصي تضرُّ فاعلَها، وأنَّه يُؤاخـذُ علـى ذلـك ويُعاقَب، وقولُهم غيرُ صحيح؛ لأنَّه ذريعةٌ إلى بـدع أهل الكلام المذموم مـن أهـل الإرجـاء ونحـوهم، وإلى ظهور الفسـق والمعاصـي، كمـا فـي شـرح الطحاوية (ص:470).

3 ـ الإيمانُ يزيد بالطاعة وينقـصُ بالمعصـية، فمـن أدلَّـة زيـادته قـول اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـوله: [illegible]، وقـوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]
[illegible]
[illegible]، وقـوله: [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible].

ومن أدلَّة نقصانه قـوله ﷺ: « مـن رأى منكـم منكراً فليُغيِّره بيـده، فـإن لـم يسـتطع فبلسـانه، فإن لم يستطع فبقلبـه، وذلـك أضـعفُ الإيمـان » رواه مسلم (78).

وما جاء في حـديث الشـفاعة مـن إخـراج مَـن في قلبـه مثقـال ذرَّة مـن إيمـان من النـار، رواه البخاري (7439) ومسلم (302) من حديث أبـي سـعيد الخـدري ﷺ، وحـديث وصـف النَّبِـيِّ ﷺ للنسـاء بـأنَّهنَّ ناقصـاتُ عَقـل وديـن، أخرجـه البخاري (304) ومسلم (132).

قال الحافظ في الفتح (1/47): « وروى ـ يعني اللالكـائي ـ بسـنده الصـحيح عـن البخـاري قـال: لقيت أكثرَ من ألف رجل مـن العلمـاء بالأمصـار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أنَّ الإيمانَ قـولٌ وعمـلٌ، ويزيـد وينقـص. وأطْنَـب ابـن أبـي حـاتم

واللاَّلكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين، وكلِّ من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين، وحكاه فضيل بن عياض ووكيع عن أهل السُّنَّة والجماعة)).

4 ـ الإسلامُ والإيمانُ من الألفاظ التي إذا جُمع بينهما في الذِّكر فرِّق بينهما في المعنى، وإذا أُفرد أحدُهما شَمل المعنيين جميعاً؛ ففي حديث جبريل المشهور الذي جُمع فيه بين الإسلام والإيمان، لَمَّا سُئل عن الإيمان فسَّره بما يُناسبُ معناه اللغوي، وهو الأمور الباطنة، بقوله: ((أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر والقَدَر خيره وشرِّه))، ولَمَّا سُئل عن الإسلام فسَّره بما يُناسبُ معناه اللغوي، وهو الأمور الظاهرة، بقوله: ((أن تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً)).

وإذا ذُكر الإسلام غير مقترن بالإيمان كان معناه شاملاً للأمور الظاهرة والباطنة، وكذا إذا أُفرد الإيمانُ عن الإسلام، فإنَّه يشمل الأمورَ الظاهرة والباطنة، وهذا من جنس لفظ: ((الفقير

والمسكين »، و« البر والتقوى »، وغير ذلك.

5 ـ لا بدَّ في الإيمان من اجتماع الأمور الثلاثة: الاعتقادُ والقول والعمل، فلا يكفي الاعتقاد والقول دون العمل، وكلُّ قول وعمل لا بدَّ أن يكون بنيَّة؛ لقوله ﷺ في الحديث: « إنَّما الأعمالُ بالنيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئ ما نوى » أخرجه البخاري (1) ومسلم (1907).

واجتماع القول والعمل والنيَّة لا يكون نافعاً إلاَّ إذا كان على السُّنَّة؛ لقوله ﷺ: « مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ » متفق عليه، وفي لفظ لمسلم: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ ».

6 ـ قوله: « **ولا يكفرُ أحدٌ بذنب من أهل القبلة** »: إذا جحد المرءُ واجباً عُلم وجوبُه من الدِّين بالضرورة كالصلاة والزكاة والصيام والحج، فإنَّه يَكفُر، وكذا إذا جَحَد تحريم ما عُلم تَحريمُه من الدِّين بالضرورة، كشرب الخمر والزنا ونحو ذلك فإنَّه يكفر، وأما إذا فعل شيئاً من الكبائر غير مستحلٍّ لها، فعند أهل السُّنَّة أنَّه يكون مؤمناً ناقصَ الإيمان، وإذا مات من غير توبة فأمرُه إلى الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء عفا عنه، وإذا عذَّبه

فــإنَّه لا يخلــده فــي النــار، وذلــك بخلاف قــول المعتزلة والخوارج القائلين بخروجه مـن الإيمـان في الدنيا، وبتخليده في النار في الآخرة.

* * *

23 ـ قوله: ((**وأنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ عند ربِّهم يُرْزَقــونَ، وأرْواحُ أهْــل السَّــعادَةِ باقِيــةٌ ناعِمــةٌ إلــى يــوم يُبْعَثــون، وأرواحُ أهــلِ الشَّقاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إلى يَوم الدِّين**)).

قــال اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible]، وقــال: [illegible]، وهذه الحياةُ حياةٌ برزخيَّة حقيقيَّـةٌ، لا يَعلـم كيفيتَهـا إلاَّ اللـه عــزَّ وجـلَّ، وجـاءت السُّـنَّةُ مبيِّنة أنَّ أرواحَ الشهداء في أجـواف طيـر خُضـر، وأنَّ أرواح المــؤمنين علــى صــورة طيــر، وأنَّ المؤمنَ يُفرَش له من الجنَّة، ويُفتَحُ لـه بـاب إلــى الجنَّة، ويأتيه من رَوْحها وطيبِهـا، ويُفسَـحُ لـه فـي قبره مدَّ بصره، وأنَّ الكافرَ يُفرَشُ لـه مـن النـار، ويُفتَـحُ لــه بــابٌ إلــى النــار، ويــأتيه مــن حرِّهــا

وسَمومها، ويضيقُ عليه قبْرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه، وقد تقدَّم إيرادُ هذه الأحاديث وتخريجُها عند قول ابن أبي زيد: ((وأنَّ الله سبحانه قد خلق الجنَّة فأعدَّها دارَ خلود لأوليائه، وأكرمَهم فيها بالنَّظر إلى وجهه الكريم)).

* * *

24 ـ قوله: ((**وأنَّ المؤمنِينَ يُفْتَنُونَ في قُبُورِهم ويُسْأَلُون،** [illegible]
[illegible]
[illegible])).

الناسُ يُفتَنون في قبورهم ويُمتَحنون، فيُثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وقد وردت الأحاديثُ في فتنة القبر والسؤال فيه، فروى البخاري في صحيحه (86) عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء، عن عائشة في قصة صلاة الكسوف، وفيه أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((ما من شيء لم أكن أُريتُه إلاَّ رأيتُه في مقامي، حتى الجنَّة والنار، فأُوحي إليَّ أنَّكم تُفتنون في قبوركم مثلَ أو قريباً ــ لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء ـ من فتنة المسيح الدجال، يُقال: ما عِلمُك بهذا الرَّجل؟ فأمَّا المؤمن أو المُوقن ــ لا أدري

بأيِّهما قالت أسماء ـ فيقول: هو محمدٌ هو رسول الله، جاءنا بالبيِّنـات والهُـدى، فأجبنـا واتَّبعنـا، هـو محمد ثلاثاً، فيُقال: نَمْ صالِحاً، قد علمنـا إن كنـتَ لَمُوقناً به، وأمَّا المنافق أو المرتـاب ـ لا أدري أيَّ ذلـك قـالت أسـماء ـ فيقـول: لا أدري، سـمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه)).

وروى البخــاري فــي صــحيحه (4699) عــن الـبراء بـن عـازب ﷺ: أنَّ رسـول اللـه ﷺ قـال: ((المسلمُ إذا سُئل فـي القـبر يشـهد أن لا إلـه إلاَّ اللــه وأنَّ محمــداً رســول اللــه، فــذلك قــوله: [illegible])).

وفـي مسـند الإمـام أحمـد بإسـناد حسـن عـن الــبراء بــن عــازب ﷺ فــي الحــديث الطويــل (18534)، وفيه: ((فيأتيه ـ أي المـؤمن ـ مَلَكـان فيُجلسانه، فيقولان له: مَـن ربُّـك؟ فيقـول: ربِّـي اللــه، فيقــولان لــه: مــا دينُــك؟ فيقــول: دينِــي الإسلام، فيقولان له: ما هـذا الرَّجـل الـذي بُعـث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ)).

وفيه: ((ويأتيه ـ أي الكافر ـ مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هـاه هـاه لا أدري! فيقولان له: ما دينُك؟ فيقـول: هـاه هـاه لا أدري!

فيقولان لـه: مـا هـذا الرَّجـل الـذي بُعـث فيكـم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! ».

وفـي مصـنَّف عبـد الـرزاق (6744) عـن ابـن جريج قال: أخبرني أبو الزبير: أنَّه سَمع جـابر بـن عبد الله يقول: « إنَّ هذه الأمَّةَ تُبتَلَى في قبورها، فإذا دخل المؤمن قبره، وتولَّى عنه أصحابُه، أتـاه ملَكٌ شديد الانتهار، فقال: ما كنتَ تقول في هـذا الرَّجل؟ فيقول المؤمن: أقول إنَّه رسول اللـه ﷺ وعبده، فيقول له المَلَكُ: اطَّلِعْ إلى مقعدك الـذي كان لك من النار، فقد أنجـاك اللـه منـه، وأبـدَلَك مكـانَه مقعـدَك الـذي تـرى مـن الجنَّـة، فيراهمـا كلتيهما، فيقول المؤمن: أُبشِّرُ أهلي؟ فيُقـال لـه: اسكن؛ فهذا مقعدُك أبداً، والمنافق إذا تولَّى عنـه أصحابُه يُقال له: ما كنتَ تقول في هـذا الرَّجـل؟ فيقول: لا أدري، أقول ما يقول الناس، فيُقال له: لا دريت، انظر مقعدَك الذي كان لـك مـن الجنَّـة، قد أبدلك الله مكانه مقعدَك من النار »، وإسـناده صحيح، وله حكم الرفع.

وروى مسـلم فـي صـحيحه (588) عـن أبـي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللـه ﷺ: « إذا تشـهَّد أحدُكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللَّهـمَّ إنِّـي أعوذ بك مـن عـذاب جهنَّـم، ومـن عـذاب القـبر،

ومـن فتنـة المحيـا والممـات، ومـن شـرِّ فتنـة المسيح الدجال ».

وفي صحيح البخاري (1377) عن أبـي هريـرة قال: « كان رسول الله ﷺ يدعو: اللّهمَّ إنِّي أعـوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنـة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال ».

وهذه الأمور الثلاثة التي يُسأل عنها فـي القـبر ورد ذكرُها مجتمعة فـي حـديث العبـاس بـن عبـد المطلب في صحيح مسلم (56) أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: « ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً »، وجـاء ذكرُهـا أيضـاً فـي أدعيـة الصـباح والمسـاء، والـدعاء عنـد الأذان، وقد بنَى عليها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب - رحمـه اللـه - رسـالتَه النفيسـة الـتي لا يستغنِي عنها عـاميٌّ ولا طـالب علـم: « الأصـول الثلاثـة وأدلّتُهـا »، فـإنَّ مـرادَه بالأصـول الثلاثـة: معرفة العبد ربّه ودينه ونبيّه ﷺ.

* * *

25 ـ قـوله: « **وأنَّ علـى العبـاد حَفَظَـةً يَكتُبـون أعمـالَهم، ولا يَسـقُطُ شـيْءٌ مِـن ذلك عَن عِلمِ ربِّهِم، وأنَّ مَلَكَ الموتِ يَقْبِـضُ**

الأرواحَ بإذن ربِّه)).

1 ـ الإيمانُ بالملائكة أحد أصول الإيمان الستة، التي بيَّنها رسول الله ﷺ في حديث جبريل المشهور، بقوله حين سأله عن الإيمان: ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشرِّه))، وهم مخلوقون من نور؛ كما في صحيح مسلم (2996) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلق آدمُ مِمَّا وُصف لكم)).

وهم ذَوُو أجنحة؛ كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، ولجبريل ستمائة جناح، كما في صحيح البخاري (3232) وصحيح مسلم (280).

ويأتون إلى البشر بأشكال على غير هيئتهم التي خُلقوا عليها، كما جاء جبريل إلى الرسول ﷺ على صورة رجل غير معروف، في حديث جبريل المشهور من رواية عمر ﵁، وهو أوَّلُ حديث عند مسلم في كتاب الإيمان، وجاء إليه

في صورة دحية بن خليفة الكلبي، وجاء جبريل إلى مريم في صورة بشر، وجاءت الملائكةُ إلى إبراهيم في صورة بشر، كما في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ ﴾ الآيات، وقوله: ﴿ ﴾ الآيات.

وهم خلقٌ كثير لا يَعلم عددَهم إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، ويدلُّ لذلك أنَّ البيتَ المعمور ـ وهو في السماء السابعة ـ يدخله كلَّ يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه، رواه البخاري (3207) ومسلم (259).

وروى مسلم في صحيحه (2842) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « يُؤتَى بجهنَّم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كلِّ زمام سبعون ألف ملَك يَجرُّونها ».

والملائكةُ منهم الموكَّلون بالوحي، والموكَّلون بالقَطر، والموكَّلون بالموت، والموكَّلون بالأرحام، والموكَّلون بالحفظ، والمُوكَّلون بالجنَّة، والمُوكَّلون بالنار، والمُوكَّلون بغير ذلك، وكلُّهم مستسلمون منقادون لأمر الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمَرون.

والواجبُ على المسلم الإيمانُ والتصديق بكلِّ ما جاء في الكتاب العزيز وصحَّت به السُّنَّة من أخبار عن الملائكة.

2 ـ من الملائكة من وُكِّل بالحفظ والكتابة، كما قال الله عزَّ وجلَّ:

[illegible]، وقال:

[illegible].

والكَتَبَةُ يكتبون أقوالَ العباد وأفعالَهم، بل ويكتبون الهمَّ بالحسنة والسيِّئة؛ فقد روى البخاري (7501) ومسلم (203) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «يقول الله: إذا أراد عبدي أن يعمل سيِّئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة، وإذا أراد أن يعمل حسنةً فلَم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة»، وقال

الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، والمعنى أنَّ حفظَ الملائكة للإنسان هو مِمَّا أمرهم الله به، والله بكلِّ شيء عليم، وهو يعلم أقوالَ العباد وأفعالَهم كُتبت أو لم تُكتَب، والكتابةُ إنَّما هي لإحصاء أعمال العباد وأقوالهم وإيقافهم عليها وإظهار عدل الله عزَّ وجلَّ فيهم، وأنَّه يُثيبُهم على أعمالهم الحسنة، ويُعاقبهم على أعمالهم السيِّئة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

والعقابُ يقع على الشرك، وكلُّ ذنب دونه فهو تحت مشيئة الله، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

3 ـ من الإيمان بالملائكة الإيمان بالملائكة الموكَّلين بالموت، وقد جاء التَّوَفِّي في القرآن مضافاً إلى الله عزَّ وجلَّ، كما قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وجاء مُضافاً

إلى مَلَك الموت، كما قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وجاء مضافاً إلى الملائكة، كما قـال اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، ولا تنافي بين هذه الإضـافات؛ فإضـافةُ المـوت إلـى اللـه لكـونه الآمـرَ بـه والمقـدِّرَ لـه والموجـدَ لـه، وإضافتُه إلى مَلَك الموت لكـونه المباشـرَ لقبـض الأرواح، وإضـافتُه إلـى الملائكـة لأخـذهم الأرواح من مَلَك الموت بعد قبضها، وقد جـاء ذلـك مُبيَّنـاً في حـديث الـبراء بـن عـازب فـي مسـند الإمـام أحمد بإسناد حسن (18534) قال رسول الله ﷺ: ((إنَّ العبـدَ المـؤمنَ إذا كـان فـي انقطـاع مـن الدنيا وإقبال مـن الآخـرة، نـزل إليـه ملائكـةٌ مـن السماء بيـض الوجـوه، كـأنَّ وجـوهَهم الشـمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنَّة، وحَنـوطٌ مـن حَنـوط الجنَّة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ المـوت عليـه السـلام حـتى يجلـسَ عنـد رأسـه، فيقول: أيَّتُها النفسُ الطيِّبة! اخرُجي إلى مغفـرة من الله ورضوان، قال: فتَخرُجُ تسيلُ كما تسـيلُ القَطرةُ مِن فِي السِّقاء فيأخذها، فإذا أخـذها لَـم

يَـدعوها فـي يـده طرفـة عيـن حـتى يأخـذوها، فيجعلوها فـي ذلـك الكفـن وفـي ذلـك الحَنـوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض ... » إلى أن قال: « وإنَّ العبـدَ الكـافرَ إذا كان في انقطاع مـن الـدنيا وإقبـال مـن الآخـرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجـوه، معهـم المسوح، فيجلسـون منـه مـدَّ البصـر، ثـم يجيـء ملَكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيَّتُهـا النفـس الخبيثـة! اخرجـي إلـى سـخط مـن اللـه وغضب، قال: فتفرَّق في جسـده، فيَنتزعُهـا كمـا يُنتَزَعُ السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخـذها لَـم يَـدَعوها فـي يـده طرفـة عيـن حـتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض ... » الحديث.

* * *

26 ـ قــوله: « **وأنَّ خيْـرَ القــرون القــرنُ الَّذين رَأَوا رسولَ اللـه ﷺ وآمَنـوا بـه، ثـمَّ الَّذين يَلُونَهم ثمَّ الَّـذين يَلـونَهم، وَأفْضَـلُ الصـحابة الخُلَفـاءُ الرَّاشـدون المَهْـديُّون؛ أبو بكر ثمَّ عُمر ثمَّ عُثمان ثـمَّ علـيٌّ رضـي الله عنهم أجمعين.**

وأن لاَ يُذكَرَ أَحَدٌ مِن صحابَةِ الرَّسـولِ ﷺ إلاَّ بأحْسَـن ذِكْـرٍ، والإمسـاك عمَّـا شَـجَرَ بَينهم، وأنَّهم أحَقُّ النَّاس، أن يُلْتَمَسَ لَهم أَحسَـن المخـارج، ويُظَـنَّ بهـم أحْسـن المذاهب ».

1 ـ أصحابُ رسول الله ﷺ هم كـلُّ مَـن لقـي الرسول ﷺ مؤمناً به ومـات علـى الإسـلام، ذكـر هذا التعريف الحافظُ ابنُ حجر في مقدمـة كتـابه الإصـابة فـي تمييـز الصـحابة (ص:10)، فقـال: « وأصحُّ ما وقفتُ عليه من ذلك أنَّ الصحابيَّ مَـن لقيَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسـلم مؤمنـاً بـه ومـات علـى الإسـلام »، وقـال فـي (ص:12): « وهذا التعريف مبنِيٌّ علـى الأصـحِّ المختـار عنـد المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومَـن تبعهما ».

وقد شرح هذا التعريف، فقـال: « فيـدخل فـي (مَن لقيَه) مَـن طـالت مجالسـتُه لـه أو قصُـرت، ومَن رَوى عنه أو لَـم يَـرو، ومَـن غـزا معـه أو لـم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومَن لَـم يـره لعارض كالعمى.

ويخـرج بقيـد (الإيمـان) مـن لقيـه كـافراً ولـو

أسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرَّة أخرى.

وقولنا (به) يخرج من لقيه مؤمناً بغيره، كمَن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة، وهل يدخل من لقيه منهم وآمن بأنَّه سيُبعث أو لا يدخل؟ محلُّ احتمال، ومن هؤلاء بَحيرا الراهب ونظراؤه.

ويدخل في قولنا: (مؤمناً به) كلُّ مكلَّف من الجنِّ والإنس ».

إلى أن قال: « وخرج بقولنا (ومات على الإسلام) من لقيه مؤمناً به، ثمَّ ارتدَّ ومات على ردَّته والعياذ بالله، وقد وُجد من ذلك عددٌ يسير كعُبيد الله بن جحش الذي كان زوجَ أمِّ حبيبة، فإنَّه أسلَم معها وهاجر إلى الحبشة، فتنصَّر هو ومات على نصرانيته، وكعبد الله بن خطل الذي قُتل وهو متعلِّق بأستار الكعبة، وكربيعة بن أميَّة بن خلف على ما سأشرحُ خبَرَه في ترجمته في القسم الرابع من حرف الراء، ويدخل فيه مَن ارتدَّ وعاد إلى الإسلام قبل أن يموت، سواء اجتمع به صلى الله عليه وآله وسلم مرَّة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمَد، والشِّقُّ الأول لا خلاف في

دخوله، وأبدا بعضُهم في الشِّقِّ الثاني احتمالاً وهو مردودٌ؛ لإطباق أهل الحديث على عدِّ الأشعث بن قيس في الصحابة، وعلى تخريج أحاديثه في الصحاح والمسانيد، وهو مِمَّن ارتدَّ ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر ».

وقول ابن أبي زيد رحمه الله: « وأنَّ خيرَ القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به » موافقٌ لِمَا نقله الحافظ عن البخاري والإمام أحمد ومن تبعهما من أنَّ الصُّحبةَ حاصلةٌ لِمَن جمع بين رؤيته ﷺ والإيمان به، وهذا بخلاف ما قاله النابتةُ في هذا العصر الذي مرَّ ذكرُه في مبحث حوض رسول الله ﷺ، الذي زعم زوراً وبُهتاناً أنَّ الذين أسلَموا وهاجروا بعد الحُديبية ليسوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وأنَّ صُحبتَهم كصحبة المنافقين والكفار، وقد أوضحتُ بُطلان هذا الزعم الجائر الخاطئ في كتاب « الانتصار للصحابة الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي ».

2 ـ أصحابُ رسول الله ﷺ رضي الله عنهم خيرُ هذه الأمَّة التي هي خيرُ الأُمم، ويليهم التابعون، ثم أتباع التابعين، وقد دلَّ الكتاب والسُّنَّة على فضلهم ونُبلهم، فمِمَّا جاء في

القــرآن فــي فضــلهم قــول اللــه عــزَّ وجــلَّ:

[illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]، وقوله: [illegible]

[illegible]

ومِمَّا جاء في السُّنَّة في فضلهم رضي الله عنهم قولُه ﷺ: «خيرُ الناس قرني ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم» رواه البخاري (3651) ومسلم من حديث ابن مسعود ﷛، واللفظ للبخاري.

ورَوَيَا أيضاً واللفظ للبخاري (3650) عن عمران بن حُصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمَّتي قرني، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، قال عمران: فلا أدري أذَكَرَ بعد قَرنه قرنين أو ثلاثة» الحديث.

وقوله ﷺ: «يأتي على الناس زمان، يغزو فئامٌ من الناس، فيُقال لهم: فيكم مَن رأى رسولَ الله

[illegible]

[illegible]

وقوله ﷺ: ((النُّجومُ أَمَنَةٌ للسماءِ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعَدون، وأصحابي أَمَنةٌ لأمَّتِي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمَّتي ما يوعَدون)) رواه مسلم (2531) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

3 ـ وأفضلُ أصحاب الرسول ﷺ رضي الله عنهم الخلفاءُ الراشدون الهادون المهديُّون: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وترتيبُهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ويدلُّ على ذلك ما رواه البخاري في صحيحه (3671) عن محمد بن الحنفية وهو محمد بن علي بن أبي طالب قال: ((قلتُ لأبي: أيُّ الناس خيرٌ بعد رسول الله ﷺ؟

قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ مَن؟ قال: عمر، وخشيتُ أن يقول عثمان، قلتُ: ثمَّ أنت؟ قال: ما أنا إلاَّ رجلٌ من المسلمين ».

وروى الإمام أحمد في مسنده (835) ـ تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد ـ قال: حدَّثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا منصور بن عبد الرحمن يعني الغداني الأشل، عن الشعبي، حدَّثني أبو جُحيفة الذي كان عليٌّ يُسمِّيه: وهب الخير، قال: قال لي علي: « يا أبا جُحيفة! ألا أُخبرك بأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها؟ قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرى أنَّ أحداً أفضل منه، قال: أفضلُ هذه الأمَّة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر، وبعدهما آخر ثالث، ولم يُسمِّه »، وإسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين إلاَّ منصور بن عبد الرحمن فهو من رجال مسلم، وأثر علي هذا عن أبي جُحيفة جاء في مسند الإمام أحمد وزوائده لابنه عبد الله من طرق صحيحة أو حسنة، وأرقامها من (833) إلى (837) و(871).

وروى البخاري في صحيحه (3655) عن عبد الله بن عمر أنَّه قال:

« كنَّا نُخيِّر بين الناس في زمن النَّبِيِّ ﷺ، فنخيِّر أبا بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان بن عفّان، رضي الله عنهم ».

وقال الحافظ ابن حجر في التقريب في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « مات في رمضان سنة أربعين، وهو يومئذ أفضلُ الأحياء من بنِي آدم بالأرض بإجماع أهل السُّنَّة ».

ومِمَّا جاء في فضلهم وفضل خلافتهم قوله ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: « ... فإنَّه مَن يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسُنَّتِي وسُنَّة الخلفاء المهديِّين الراشدين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة » رواه أبو داود (4607) والترمذي (2676)، وقال الترمذي: « حديث حسن صحيح ».

وقوله ﷺ في حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ: « خلافةُ النبوة ثلاثون سنة، ثمَّ يُؤتي اللهُ المُلْكَ أو مُلْكَه مَن يشاء » رواه أبو داود (4646) وغيرُه، وهو حديث صحيح، أورده الألباني في السلسلة الصحيحة (460)ـ ونقل تصحيحه عن

تسعة من العلماء.

4 ـ صحابةُ الرسول ﷺ عدولٌ؛ لثناء اللـه عـزَّ وجلَّ عليهم، وثناء الرسـول ﷺ، فلا يحتـاجون مـع ذلك لتعـديل المعـدِّلين وتوثيـق المـوثِّقين، ولهذا دَرَجَ السَّلفُ في التراجم إذا كان المترجَمُ صحابيًّا أن يقولـوا عنـه: صـحابي، لا يـذكرون توثيقـاً ولا غيرَه مِمَّا كانوا يذكرون فـي غيـر الصـحابة، قـال ابن عبد البر فـي التمهيـد (22/47):ـ « ولا فـرق بين أن يُسـمِّي التـابعُ الصـاحبَ الـذي حـدَّثه أو لا يُسميه في وجـوب العمـل بحـديثه؛ لأنَّ الصـحابةَ كلَّهـم عـدولٌ مرضـيُّون ثقـاتٌ أثبـاتٌ، وهـذا أمـر مجتمعٌ عليه عند أهل العلم بالحديث ».

وقــال القرطــبي فــي تفســيره (16/299): « فالصــحابة كلُّهــم عــدولٌ، أوليــاء اللــه تعــالى وأصفياؤه، وخِيرتُه من خلقه بعـد أنبيـائه ورسـله، هذا مذهب أهل السنَّة والذي عليـه الجماعـة مـن أئمَّة هذه الأمَّة، وقد ذهبت شِرذمةٌ لا مبـالاة بهـم إلى أنَّ حالَ الصحابة كحال غيرهم، فيلزم البحث عن عدالتهم!! ».

وقال الحافظ ابن حجر في الإصابة (1/17): « واتَّفق أهلُ السـنَّة علـى أنَّ الجميـعَ عـدولٌ، ولَـم

يخالف في ذلك إلاَّ شذوذ من المبتدعة ».

وقد أشار السيوطي في تـدريب الـراوي (ص: 400) إلى هؤلاء الشـذوذ مـن المبتدعـة، فقـال: « وقالت المعتزلة: عدول إلاَّ من قاتل عليًّا ».

وقال أبو عمرو بن الصلاح فـي علـوم الحـديث (ص:264):ـ « للصحابة بأسرهم خصيصـة، وهـي أنَّه لا يُسأل عن عدالة أحـدٍ منهـم، بـل ذلـك أمـر مفــروغ منــه؛ لكــونهم علــى الإطلاق معــدَّلين بنصوص الكتاب والسنَّة وإجماع مَن يُعتدُّ بـه فـي الإجماع من الأمَّة ... ».

إلــى أن قــال: (ص:265):ــ « ثــمَّ إنَّ الأمَّــةَ مجمعةٌ على تعديلِ جميـع الصـحابة، ومَـن لابـس الفتنَ منهم فكـذلك بإجمـاع العلمـاء الـذين يُعتـدُّ بهم في الإجماع؛ إحساناً للظَّنِّ بهم، ونظـراً إلـى ما تمهّد لهم من المآثر، وكأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أتاح الإجماعَ علـى ذلـك لكـونهم نقلـة الشـريعة، واللهُ أعلم ».

وقــال النــووي فــي شــرحه علــى مســلم (15/149): « ولهذا اتَّفق أهلُ الحقِّ ومن يُعتدُّ به فـي الإجمـاع علـى قبـول شـهاداتهم ورواياـتهم وكمال عدالتهم، رضي الله عنهم أجمعين ».

وقـال الخطيـب البغـدادي فـي الكفايـة (ص:

46)ـ « كلُّ حديثٍ اتَّصل إسنادُه بين من رواه وبين النَّبِيِّ ﷺ لَم يلزم العمل به إلاَّ بعد ثبوت عدالة رجاله، ويجب النظرُ في أحوالهم سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ؛ لأنَّ عدالَةَ الصحابة ثابتةٌ معلومةٌ بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نص القرآن » ثمَّ ذكر الآيات والأحاديث في ذلك.

ومِمَّا يوضِّحُ ذلك أنَّ دواوينَ السنَّة صحاحها وجوامعها وسننها ومسانيدها ومعاجمها وغير ذلك مشتملةٌ على الرواية عن الصحابة على الإبهام، وما ثبت بالإسناد إليهم فهو حجَّةٌ عند أهل السنَّة، ولا تؤثِّر جهالتُهم؛ لأنَّ المجهول منهم في حكم المعلوم.

ثمَّ إنَّ قولَ أهل السُّنَّة والجماعة بعدالة الصحابة لا يعنِي عصمتهم؛ لأنَّ العصمةَ عندهم لا تكون إلاَّ للرُّسُل والأنبياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص:28): « وهم مع ذلك (يعنِي أهل السنة والجماعة) لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السَّوابِق والفضائل ما يوجب مغفرة ما

يصدر منهم إن صدر، حتى إنَّهم يُغفر لهم من السيِّئات ما لا يُغفر لِمَن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنَّهم خير القرون، وأنَّ المُدَّ من أحدِهم إذا تصدَّق به كان أفضلَ من جبل أُحُد ذهباً مِمَّن بعدهم، ثمَّ إذا كان قد صدر عن أحدٍ منهم ذنبٌ فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غُفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحقُّ الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المُحقَّقة فكيف الأمور التي كانوا فيها مُجتهدين، إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطأوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثمَّ القدر الذي يُنكَر من فِعل بعضِهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنِهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنُّصرة والعلم النافع والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلمٍ وبصيرةٍ وما منَّ الله عليهم من الفضائل علِمَ يقيناً أنَّهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم الصَّفوةُ من قرون هذه الأمَّة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله ».

وقول أهل السُّنَّة بتعديل الصحابة، كما أنَّه مستندٌ إلى نصوص من الكتاب والسُّنَّة، فهو مَبنِيٌّ على حُسن الظنِّ بهم، ومَن أحسن الظنَّ بهم فهو مأجورٌ، والقول بخلاف ذلك مَبنِيٌّ على إساءة الظنِّ بهم، ومَن أساء الظنَّ بهم فهو آثمٌ.

5 ـ والواجبُ لأصحاب رسول الله ﷺ تولِّيهم ومَحبَّتُهم والثناءُ عليه بالجميل اللاَّئق بهم، وألاَّ يُذكَروا إلاَّ بخير، قال الطحاوي في عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة: « ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ ولا نفرط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلاَّ بخيرٍ، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ ».

وروى الخطيبُ البغدادي في كتابه الكفاية (ص:49) بإسناده إلى أبي زرعة الرازي أنَّه قال: « إذا رأيت الرجلَ ينتقصُ أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديقٌ؛ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ عندنا حقٌّ والقرآن حقٌّ، وإنَّما أدَّى إلينا هذا القرآنَ والسننَ أصحابُ رسول الله ﷺ وإنَّما يريدون أن يجرحوا شهودَنا ليُبطلوا الكتاب والسنة، والجرحُ بهم أولى وهم زنادقةٌ ».

وقــال البغــوي فــي شــرح الســنة (1/229): ((قال مالك: مَن يبغض أحداً من أصحاب رســول الله ﷺ وكان في قلبه عليه غِلٌّ فليس له حقٌّ في فَيءِ المسلمين، ثم قرأ قولَه ســبحانه وتعـالى: [illegible] إلى قوله: [illegible] الآية، وذُكـر بيـن يـديه رجـلٌ ينتقـص أصـحابَ رسـول اللــه ﷺ فقـرأ مالـكٌ هـذه الآيـة [illegible] إلى قوله: [illegible]، ثم قال: مَن أصبح من الناس في قلبـه غِـلٌّ علـى أحدٍ من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ فقد أصابته هذه الآية)).

وقال الإمـام أحمـد فـي كتـابه الســنة: ((ومـن السنَّة ذكرُ محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلِّهــم أجمعين، والكفّ عن الذي جرى بينهم، فمَن سبَّ أصحابَ رسول الله ﷺ أو واحداً منهم فهو مبتـدعٌ رافضيٌّ، حبُّهم سنَّةٌ والدعاءُ لهـم قربـةٌ والاقتـداءُ بهم وسيلةٌ والأخذُ بآثارهم فضيلةٌ)).

وقال أيضاً: ((لا يجوز لأحدٍ أن يذكر شــيئاً مــن مساوئهم ولا يطعن علـى أحـدٍ منهـم فمَـن فعـل

ذلك فقد وجب على السلطان تأديبُه وعقوبتُه ليس له أن يعفوَ عنه بل يعاقبُه ثمَّ يستتيبُه فإن تاب قبِلَ منه وإن لَم يتب أعاد عليه العقوبة وخلَّده في الحبس حتى يتوب ويراجع ».

وقال ابن أبي حاتم في كتابه الجرح والتعديل (1/87): « فأمَّا أصحابُ رسول الله ﷺ فهم الذين شهدوا الوحيَ والتنزيلَ، وعرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم اللهُ عزَّ وجلَّ لصحبة نبيِّه ﷺ ونصرتِه وإقامةِ دينه وإظهارِ حقِّه، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوةً، فحفظوا عنه ﷺ ما بلَّغهم عن الله عزَّ وجلَّ، وما سنَّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدّب، ووعَوْه وأتقنوه، ففقهوا في الدين، وعلموا أمرَ الله ونهيه ومراده بمعاينة رسول الله ﷺ ومشاهدتهم منه تفسيرَ الكتاب وتأويله، وتلقّفهم منه واستنباطهم عنه، فشرَّفهم اللهُ عزَّ وجلَّ بما مَنَّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إيَّاهم موضع القدوة »، إلى أن قال: « فكانوا عدولَ الأمَّة وأئمَّةَ الهدى وحجَجَ الدِّين ونقلةَ الكتاب والسنة.

وندب الله عزَّ وجلَّ إلى التمسُّك بهديهم

والجــري علــى منهــاجهم والســلوك لســبيلهم والاقتداء بهم، فقال: [illegible] الآية.

ووجدنا النَّبِيَّ ﷺ قد حضَّ على التبليغ عنـه فـي أخبار كثيرة، ووجدناه يخاطبُ أصحابَه فيها، منهــا أن دعا لهم فقال: (نضَّر اللهُ امرءاً سمع مقـالتي فحفظها ووعاها حتّى يبلِّغها غيرَه)، وقـال ﷺ فـي خطبته: (فليبلِّـغ الشّـاهدُ منكـم الغـائبَ)، وقـال: (بلِّغوا عنِّي ولو آيةً، وحدِّثوا عن بني إســرائيل ولا حرج).

ثـمَّ تفرَّقـت الصـحابةُ رضـي اللــه عنهـم فـي النَّواحي والأمصـار والثغـور، وفـي فتـوح البلـدان والمغازي والإمارة والقضاء والأحكـام، فبـثَّ كـلُّ واحدٍ منهم في ناحيته وبالبلد الذي هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله ﷺ، وحكمـوا بحكـم اللــه عزَّ وجلَّ وأمضوا الأمور على ما سنَّ رسول اللــه ﷺ، وأفتـوا فيمـا سُـئلوا عنـه مِمَّـا حضـرهم مـن جواب رسول الله ﷺ عن نظائرها من المســائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمـة حسـن النيّـة والقربـة إلى الله تقدّس اسـمُه، لتعليـم النـاس الفرائـض والأحكام والسنن والحلال والحرام، حتّى قبضـهم

اللـهُ عـزَّ وجـلَّ رضـوانُ اللـه ومغفرتـه ورحمتـه عليهم أجمعين ».

وقال أبو عثمـان الصـابوني فـي كتـابه عقيـدة السلف وأصحاب الحديث: « ويَـرون الكـفَّ عمَّـا شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمَّن عيباً لهم أو نقصاً فيهم ويرون التَّرحُّم على جميعهم والموالاة لكافَّتهم ».

ونقل الحـافظ فـي الفتـح (4/365) عـن أبـي المظفـــــر الســـــمعاني أنَّـــــه قـــــال: « التعرُّضُ إلى جانب الصحابة علامةٌ على خـذلان فاعله، بل هو بدعةٌ وضلالةٌ ».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية: « ومن أصول أهـل السـنة والجماعـة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصـحاب رسـول اللـه كما وصفهم الله في قوله: ، وطاعة للنبيِّ ﷺ فـي قـوله: (لا تسـبوا أصـحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنَّ أحدَكم أنفق مثـلَ أُحُـدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصـيفه) إلـى أن قـال:

ويتبرَّءون من طريقـة الروافـض الـذين يبغضـون الصـحابة ويسـبّونهم، وطريقـة النواصـب الـذين يؤذون أهلَ البيت بقول أو عملٍ، ويُمسـكون عمَّـا جـرى بيـن الصـحابة، ويقولـون إنَّ هـذه الآثـار المرويّة في مساوئهم منها ما هو كذبٌ ومنهـا مـا قد زِيد فيه ونُقص وغُيِّر عن وجهه، والصحيحُ منـه هم فيه معـذورون إمَّـا مجتهـدون مصـيبون وإمَّـا مجتهدون مخطئون)).

وقال الحافظ ابن كثير فـي تفسـير قـول اللـه عزَّ وجلَّ: [illegible] الآية قال: ((فقد أخبر اللهُ العظيم أنَّه قد رضي عـن السـابقين الأوَّليـن مـن المهاجرين والأنصار والذين اتَّبعوهم بإحسان، فيا ويـلَ مَـن أبغضَـهم أو سـبَّهم أو أبغـضَ أو سـبَّ بعضَهم ولا سِيَما سيِّدُ الصـحابة بعـد الرَّسـول ﷺ وخيرُهم وأفضلُهم أعني الصِّديقَ الأكبرَ والخليفـةَ الأعظم أبا بكر بن أبي قحافـة ﵁، فـإنَّ الطائفـة المخذولة من الرافضة يعـادون أفضـلَ الصـحابة، ويبغضونهم ويسبُّونهم عياذاً بالله من ذلك، وهــذا يــدلُّ علــى أنَّ عقــولَهم معكوســةٌ وقلــوبَهم

منكوسةٌ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون مَن رضي الله عنهم، وأمَّا أهلُ السنة فإنَّهم يترَضَّوْن عمَّن رضي الله عنه ويسبُّون من سبَّه اللهُ ورسولُه ويوالون من يوالي اللهَ ويعادون من يعادي اللهَ، وهم متَّبعون لا مبتدعون ويقتدون ولا يبتدعون، ولهذا هم حزبُ الله المفلحون وعبادُه المؤمنون ».

وقال ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية (ص:469): « فمن أضلُّ مِمَّن يكون في قلبه غلٌّ على خيار المؤمنين وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيِّين، بل قد فضَلهم اليهودُ والنصارى بخصلة، قيل لليهود مَن خيرُ أهل ملَّتكم؟ قالوا: أصحابُ موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحابُ عيسى، وقيل للرافضة:من شرُّ أهل ملَّتكم؟ فقالوا: أصحابُ محمد، ولم يستثنوا منهم إلاَّ القليل، وفيمن سبّوهم من هو خير مِمَّن استثنوهم بأضعافٍ مضاعفةٍ ».

وهذا المعنى جاء في شعر أحد علمائهم بين القرن الثاني عشر والثالث عشر الهجري، وهو كاظم الأزري، فقال:

أهم خير أمة أخرجت للنَّا س هيهات ذاك
بل أشقاها!!!

وقفتُ عليه في نقد الأستاذ محمود الملاح لقصيدته الأزرية المطبوع بعنوان: « الرزيّة في القصيدة الأزرية » (ص:51).

وما جاء في هذا البيت غايةٌ في الجفاء والخبث، وهو مُصادمٌ للقرآن لقوله تعالى: ﴿ ﴿.

وقال الحافظ ابن حجر في كتابه فتح الباري (13/34):ـ « واتّفق أهلُ السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من حروبٍ ولو عُرف المحقُّ منهم؛ لأنَّهم لَم يقاتلوا في تلك الحروب إلاَّ عن اجتهادٍ وقد عفا اللهُ تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنَّه يؤجر أجراً واحداً وأنَّ المصيبَ يؤجر أجرين ».

وقال الشيخ يحيى بن أبي بكر العامري في كتابه الرياض المستطابة في من له روايةٌ في الصحيحين من الصحابة (ص:311):ـ « وينبغي لكلِّ صيِّنٍ متديِّنٍ مسامحة الصحابة فيما صدر بينهم من التشاجر والاعتذار عن مخطئهم وطلب المخارج الحسنة لهم وتسلِيم صحة إجماع ما

أجمعوا عليه على ما علموه، فهم أعلم بالحال، والحاضرُ يرى ما لا يرى الغائبُ، وطريقةُ العارفين الاعتذارُ عن المعائب، وطريقةُ المنافقين تتبُّعُ المثالب، وإذا كان اللاَّزمُ من طريقة الدين سترَ عورات المسلمين فكيف الظنُّ بصحابة خاتم النبيّين مع اعتبار قوله ﷺ: (لا تسبُّوا أحداً من أصحابي)، وقوله: (من حُسْن إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه) هذه طريقةُ صلحاء السلف وما سواها مهاوٍ وتلف)).

* * *

27 ـ قوله: ((**والطاعةُ لأئمَّة المسلمين مِن ولاة أمورهم وعلمائهم**)).

1 ـ قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible]

[illegible]

[illegible]، أولو الأمر هم العلماء والأمراء، فيُسمع للعلماء ويُطاع فيما يبيِّنونه من أمور الدِّين، ويُسمع للأمراء ويُطاع فيما يأمرون به مِمَّا ليس معصيةً لله عزَّ وجلَّ، وقد رجَّح تفسيرَ وُلاة الأمر بما يشمل العلماء والأمراء القرطبيُّ وابنُ كثير في تفسيريهما، فعزا القرطبيُّ تفسيرَ [illegible] بـ الأمراء إلى الجمهور وأبي

هريرة وابن عباس وغيرِهم، وقال أيضـاً: ((وقـال جـابر بـن عبـد اللـه ومجاهـد (أولـو الأمـر): أهـلُ القـرآن والعلـم، وهـو اختيـارُ مالـكٍ رحمـه اللـه، ونحوُه قولُ الضحّاك، قال: يعني الفقهاء والعلماء في الدِّين)).

وقال ابنُ كثير في تفسيره: ((وقـال علـيُّ بـن أبـي طلحـة عـن ابـن عبـاس: [illegible] يعني أهل الفقه والدِّين، وكذا قال مجاهد وعطاء والحسـن البصـري وأبـو العالية: [illegible] يعني العلماء)).

ويـدلُّ لطاعـة العلمـاء قـولُ اللـه عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقولُه: [illegible].

ويــدلُّ لطاعــة الأمــراء قــوله ﷺ : ((الســمعُ والطاعةُ على المرء المسلم فيما أحبَّ وكرِهَ مـا لم يُؤمَر بمعصيةٍ، فإذا أُمر بمعصـيةٍ فلا سـمعَ ولا طاعة)) رواه البخاري (7142) ومسـلم (1839) مِن حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

وقولُه ﷺ: ((إنَّما الطاعةُ في المعـروف)) رواه البخـاري (7145) ومسـلم (1840) مـن حـديث عليّ ﷺ.

وقــولُه ﷺ: « عليــك الســمعَ والطاعــةَ فــي عُســرِك ويُســرِك، ومَنشَــطِك ومَكرَهِــك، وأثــرَةٍ عليــك » رواه مسـلم (1836) مِـن حـديث أبـي هريرة ﷺ.

وروى مسـلم أيضـاً (1837) عـن أبـي ذر ﷺ قال: « إنَّ خليلي أوصاني أن أسـمعَ وأُطيـعَ، وإن كان عبداً مُجَدَّعَ الأطْرافِ ». قال سـهل بـن عبـد اللــه التســتري كمــا فــي تفســير القرطــبي (5/260):ـ « لا يــزالُ النَّــاسُ بخيــرٍ مــا عظَّمــوا السلطانَ والعلماءَ، فإذا عظَّموا هذين أصلح اللــهُ دنيــاهم وأُخراهــم، وإذا اســتخفُّوا بهــذين أفســد دنياهم وأُخراهم ».

2 ـ تَتمُّ ولايةُ الأمر بأحد أمورٍ أربعة:

الأول: النَّصُّ من رسول الله ﷺ، لو نصَّ على أحدٍ بعينه فإنَّه يكون خليفةً بذلك، وقد قال بعــضُ أهل العلم: إنَّ خلافــةَ أبـي بكـر ﷺ تمَّـتْ بـذلك، والصحيحُ أنَّه لم يأت نصٌّ خاصٌّ عـن رسـول اللـه ﷺ بتعيين خليفةٍ مِن بعده، لا أبـي بكـر ولا غيـرِه، كما قال عمر ﷺ لمَّا طُلب منه أن يستخلف فــي مرض موته، قال: « إن أســتخلفْ فقــد اســتخلف مَن هو خيرٌ منِّي: أبو بكر، وإن أتركْ فقد ترك مَن

هو خيـرٌ منِّـي: رسـول اللـه ﷺ)) رواه البخـاري (7218) ومسلم (1823).

وجاء عنه ﷺ نصوصٌ تدلُّ علـى أنَّ أبـا بكـر ﷺ هو الأحقُّ والأَوْلى بـالأمر مِـن بعـده، مثـل تقـديم النَّبيِّ إيّاه في الصلاة بالناس في مرض مـوته ﷺ، وأَوْضحُ شيءٍ في ذلك ما رواه البخــاري (5666) ومسلم (2387)، واللَّفظُ لمسـلم، عـن عائشـةَ رضي الله عنها قالت: قال لي رسولُ الله ﷺ فـي مرضه: ادعي لي أبا بكرٍ وأخاكِ حتَّى أكتُـبَ كتابـاً؛ فإنِّي أخاف أن يتمنَّى مُتَمَنٍّ ويقولَ قائلٌ: أنا أَوْلى، ويأبى اللهُ والمؤمنون إلاَّ أبا بكر)).

الثاني: اتِّفاقُ أهلِ الحـلِّ والعقـد علـى تعييـن خليفةٍ، ويدلُّ له اتِّفاقُ الصّـحابةِ علـى اختيـار أبـي بكر للخلافة بعد رسول الله ﷺ، وهو اتِّفاقٌ مُستندٌ إلى نصـوصٍ دالَّـةٍ علـى أنَّـه الأحـقُّ بالخلافـة بعـد رسـول اللـه ﷺ، ومنهـا مـا تقـدَّمَت الإشـارةُ إليـه قريباً.

الثالث: أن يعهد الخليفةُ إلى رجلٍ يلي الخلافةَ مِن بعده، كما حصل مِن استخلاف أبي بكـر لعمـر رضي اللهُ عنهما، ويدلُّ له أثرُ عمر ﷺالذي تقدَّم قريباً.

الرابع: أن يتغلَّب على النَّاس رجلٌ بالقهر والغلبة، فيستقرَّ له الأمرُ، كما حصل مِن انتزاعِ أبي العباس السَّفَّاح الخلافةَ مِن بني أُميَّةَ.

وقد ذكر هذه الأمورَ الأربعةَ القرطبيُّ في تفسيره عند تفسير قولِ الله عزَّ وجلَّ: [illegible]، وذكرها شيخُنا الشيخُ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في كتابه «أضواءُ البيان» عند هذه الآية، قال القرطبي: «فإن تغلَّب مَن له أهليَّةُ الإمامة وأخذها بالقهر والغلَبة، فقد قيل: إنَّ ذلك يكون طريقاً رابعاً، وقد سُئل سهل بن عبد الله التستري: ما يجب علينا لمن غلب على بلادنا وهو إمامٌ؟ قال: تُجيبُه وتُؤدِّي إليه ما يُطالبُك مِن حقِّه، ولا تُنكر فعالَه ولا تفرّ منه، وإذا ائْتمنك على سرٍّ مِن أمر الدِّين لم تُفشِه، وقال ابن خويز منداد: ولو وثب على الأمر مَن يصلُحُ له مِن غير مشورةٍ ولا اختيارٍ وبايع له النَّاسُ تمَّتْ له البيعةُ، والله أعلم».

وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم (12/234) في قولِ عبد الله ابن عمرو: «أطِعْه في طاعةِ الله، واعْصِه في معصيةِ الله» قال:

« فيه دليلٌ لوجوب طاعةِ المتَوَلّين للإمامة بـالقهر مِن غير إجماعٍ ولا عهدٍ ».

وقال الحافظ في الفتح (13/122):ـ « وأمَّا لـو تغلَّب عبْدٌ حقيقةً بطريقِ الشَّوْكة فإنَّ طاعتَه تجبُ إخماداً للفتنة، ما لم يأمُر بمعصية ».

وقال الإمامُ أحمد في اعتقاده كما في السنَّة لِلاّلكائي (2/161):ـ « ومَن خرج على إمامِ المسلمين وقد كان النَّاسُ اجتمعوا عليه وأقرُّوا له بالخلافة بأيِّ وجهٍ كان: بالرِّضا أو بالغلَبة، فقد شقَّ هذا الخارجُ عصا المسلمين وخالف الآثارَ عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارجُ عليه مات مِيتةً جاهليَّة ».

وقال الحافظ في الفتح (13/7) في شرح حديث: « مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شِبراً فمات، إلاَّ مات مِيتةً جاهليَّة » قال: « قال ابن بطَّال: في الحديث حجَّةٌ في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاءُ على وجوب طاعة السلطان المتغلِّب والجهادِ معه، وأنَّ طاعتَه خيرٌ مِن الخروج عليه؛ لِما في ذلك مِن حَقنِ الدِّماء وتسكينِ الدَّهماء، وحجتُّهم هذا الخبرُ وغيرُه مِمَّا

يساعده، ولـم يسـتثنوا مِـن ذلـك إلاَّ إذا وقـع مـن السـلطان الكفـرُ الصَّـريحُ، فلا تجـوزُ طـاعتُه فـي ذلك، بل تجب مجاهدَتُه لِمَن قـدر عليهـا كمـا فـي الحديث الذي بعده)).

يشيرُ بذلك إلى حديث عبادةَ بن الصَّامت ﷺ: ((بايعَنَا على السَّمع والطَّاعة في مَنشَطِنا ومَكرَهِنـا وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثرَةٍ علينـا، وأن لا نُنـازع الأمـرَ أهلَه، إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيـه بُرْهانٌ)).

3 ـ حقُّ وُلاة الأمر على الرَّعِيَّـة النُّصـحُ لهـم، ويكـون النُّصـحُ بالسـمع والطَّاعـة لهـم فـي المعروف، والدّعاءِ لهم، وترْكِ الخروج عليهم ولو كـانوا جـائرين، ومِـن أدلَّـة النُّصح لهـم قـولُه ﷺ: ((الدِّينُ النَّصيحةُ، قلنا: لِمَـن؟ قـال: للـه ولكتـابه ولرسـوله ولأئمَّـة المسـلمين وعـامَّتِهم)) رواه مسلم (95).

وروى الإمامُ مالك في الموطـأ (2/990) عـن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسـول اللـه ﷺ قـال: ((إنَّ اللـهَ يرضـى لكـم ثلاثاً، ويسخطُ لكم ثلاثاً، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل اللـه جميعـاً،

وأن تناصحوا مَن ولاَّه اللهُ أمرَكم، ويسخطُ لكم قيلَ وقالَ، وإضاعةَ المال، وكثرةَ السؤال ».
ورواه أيضاً الإمامُ أحمد في مسنده (8799)، وهو حديثٌ صحيحٌ.

وفي مسند الإمام أحمد (21590) بإسنادٍ صحيحٍ عن زيد بن ثابت ﷺ في حديثٍ طويلٍ، وفيه: « ثلاثُ خصال لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم أبداً: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ وُلاة الأمر، ولزومُ الجماعة؛ فإنَّ دعوَتَهم تُحيطُ مِن ورائهم ».

قال ابن القيِّم في مفتاح دار السعادة (ص: 79) في معنى « لا يغِلُّ عليهنَّ قلبُ مسلم »: « أي لا يحمل الغِلَّ ولا يبقى فيه مع هذه الثلاثة؛ فإنَّها تنفي الغِلَّ والغِشَّ وفسادَ القلب وسخائمَه » إلى أن قال: « وقولُه (ومناصحةُ أئمّة المسلمين): هذا أيضاً منافٍ للغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ النَّصيحةَ لا تجامعُ الغلَّ؛ إذ هي ضدّه، فمَن نصح الأئمَّةَ والأمَّةَ فقد برِئَ مِن الغلّ.

وقولُه: (ولزومُ جماعتهم): هذا أيضاً مِمَّا يطهِّرُ القلبَ مِن الغلِّ والغشِّ؛ فإنَّ صاحبَه للزومه جماعةَ المسلمين يحبُّ لهم ما يحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لها، ويسوؤه ما

يسوؤهم، ويسرُّه ما يسرُّهم ».

وقال النووي في شرحه على مسلم (2/38): « وأمَّا النَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين فمعاونَتُهم على الحقِّ وطاعتُهم فيه، وأَمْرُهم به، وتنبيهُهم وتذكيرُهم برِفقٍ ولطفٍ، وإعلامُهم بما غفلوا عنه ولم يبلغْهم مِن حقوق المسلمين، وتركُ الخروج عليهم، وتألُّفُ النَّاس لطاعتهم، قال الخطّابي رحمه الله: ومِن النَّصيحة لهم الصلاةُ خلفَهم، والجهادُ معهم، وأداءُ الصّدقات إليهم، وتركُ الخروج بالسّيف عليهم إذا ظهر منهم حيفٌ أو سوءُ عِشرةٍ، وأن لا يُغرُّوا بالثّناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصّلاح ».

وقال ابن حجر في الفتح (1/138): « والنَّصيحةُ لأئمَّة المسلمين إعانَتُهم على ما حمَّلوا القيامَ به، وتنبيهُهم عند الغفلة، وسدُّ خلَّتهم عند الهفوة، وجمعُ الكلمة عليهم، وردُّ القلوب النَّافرة إليهم، ومِن أعظم نصيحتهم دفعُهم عن الظلم بالتي هي أحسن، ومِن جملة أئمَّة المسلمين أئمَّةُ الاجتهاد، وتقع النَّصيحةُ لهم ببَثِّ علومِهم، ونشرِ مناقبِهم، وتحسينِ الظّنِّ بهم ».

ثمَّ إنَّ النَّصيحةَ لوُلاة الأمور وغيرِهم تكون سرًّا وبرفـقٍ وليـنٍ، ويـدلُّ لـذلك قـولُ اللـه عـزَّ وجـلَّ لموسى وهارون: [illegible]، وعن عائشةَ رضـي اللـه عنهـا عـن النَّبيِّ ﷺ قال: ((إنَّ الرِّفقَ لا يكون فـي شـيءٍ إلاَّ زانَه، ولا يُنْزَع من شيءٍ إلاَّ شانَه)) رواه مسـلم (2594).

وفـي صـحيح البخـاري (3267) ومسـلم (2989)، واللفظُ لمسلم، عن أبي وائل شقيق بن سلمة قال: قيل لأسامة : ((ألا تدخل على عثمان فتكلِّمَه؟ فقال: أتُرَوْن أنِّي لا أُكلِّمُه إلاَّ أُسمعُكم؟ والله! لقد كلَّمْتُه فيما بيني وبينه ما دون أن أفتـحَ أمراً لا أُحبُّ أن أكون أوَّلَ مَن فتحَه)) الحديث.

قال الحـافظ ابـن حجـر فـي الفتـح (13/51): ((أيْ كلَّمْتُه فيما أشـرْتم إليـه، لكـن علـى سـبيل المصلحة والأدب فـي السـرِّ بغيـر أن يكـون فـي كلامي ما يثير فتنةً أو نحوَها)).

وعن عياض بـن غنـم ﷺ عـن رسـول اللـه ﷺ قال: ((مَن أراد أن ينصح السـلطانَ بـأمرٍ فلا يُبـدِ له علانيةً، ولكن لِيأخذْ بيدِه فيخلـو بـه، فـإن قَبِـل

منه فذاك، وإلاَّ كان قد أدَّى الذي عليه لــه)) رواه أحمــد (15333) والحــاكم (3/290) وابــن أبــي عاصم في السنَّة (1096 ـ 1098)، قال الألبانيُّ فــي تخريجــه (2/523):ــ ((فالحــديثُ صــحيحٌ بمجموع طرقه)).

وإذا خلا النُّصحُ من الرِّفق واللِّين وكـان علانيـةً فإنَّه يضرُّ ولا ينفعُ، ومِن المعلوم أنَّ أيَّ إنسانٍ إذا كان عنده نقصٌ يحبُّ أن يُنصح برفـقٍ وليــنٍ، وأن يكون ذلك سرًّا، فعليه أن يعامل النَّاسَ بمثــل مــا يحبُّ أن يعاملوه به، ففي صحيح مسـلم (1844) في حـديثٍ طويـلٍ عـن عبـد اللــه بـن عمـرو بـن العاص رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: ((فمَن أحبَّ أن يُزحْـزح عـن النَّـار ويُـدخل الجنَّـةَ فلتـأته منيَّتُه وهو يؤمنُ بالله واليـوم الآخِــر، وليـأتِ إلــى النَّاس الذي يحبُّ أن يُؤتى إليه)).

4 ـ مِنَ النُّصـح للـوُلاة السـمعُ والطاعـةُ فـي المعروف، فإذا أَمروا بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعـة في ذلــك، ويــدلُّ لــذلك قــولُ اللــه عــزَّ وجــلَّ: [illegible] ، وجاء في السنَّة أحاديثُ كثيرةٌ في السمع والطاعة لـولاة الأمـور،

وقد مرَّ منها قريباً حديثُ عبد الله ابن عمر، وأبي هريرة، وأبي ذر، وعبادة ابن الصامت.

وروى النَّسائي (4168) بإسنادٍ صحيح عن جرير ﷺ قال: بايعْتُ النَّبِيَّ ﷺ على السَّمع والطَّاعة، وأن أنصح لكلِّ مسلمٍ)).

وفي صحيح مسلم (1847) في حديثٍ طويلٍ عن حذيفةَ ﷺ قال له رسولُ الله ﷺ: ((تسمعُ وتُطيعُ للأمير، وإنْ ضرب ظهرك وأخذَ مالك، فاسمعْ وأطعْ)).

وروى البخاري (7137) ومسلم (1835) واللفظُ لمسلم، عن أبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: ((مَن أطاعني فقد أطاع اللهَ، ومَن يعصِني فقد عصى اللهَ، ومَن يُطع الأميرَ فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأميرَ فقد عصاني)).

وروى مسلم في صحيحه (1846) عن وائل بن حجر ﷺ قال: ((سأل سلمةُ بن يزيد الجعفي رسولَ الله ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله! أرأيتَ إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا؟ فقال رسول الله ﷺ: اسمعوا وأطيعوا؛ فإنَّما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتُم)).

وفي تفسير القرطبي (5/259) أنَّ سهلَ بن عبد الله التستري قال: « إذا نهى السلطانُ العالمَ أن يُفتِيَ فليس له أن يُفتي، فإن أفتى فهو عاصٍ، وإنْ كان أميراً جائراً »، ويدلُّ لذلك حديثُ عوف بن مالك الأشجعي ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « لا يقصُّ إلاَّ أميرٌ أو مأمورٌ أو مختالٌ » رواه الإمام أحمد (24005) وأبو داود (3665) وهو حديثٌ صحيحٌ بطرقه، وانظر تعليقَ الألباني على المشكاة على حديث رقم (240).

وكان أبو موسى الأشعري ﷺ يُفتي بالتَّمتُّع في الحجِّ، فبلغه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أنَّه يأمر بالإفراد، فقال: « يا أيها الناس! مَن كنَّا أفتيناه فُتيا فلْيتَّئِدْ؛ فإنَّ أميرَ المؤمنين قادمٌ عليكم، فبه فائْتمُّوا »، أخرجه مسلم في صحيحه (1221).

وفي سنن البيهقي (3/144) عن عبد الرحمن بن يزيد قال: « كنَّا مع عبد الله بن مسعود بجمع، فلمَّا دخل مسجد منى قال: كم صلّى أميرُ المؤمنين؟ قالوا: أربعاً، فصلّى أربعاً، قال: فقلنا: ألم تُحدِّثْنا أنَّ النَّبِيَّ ﷺ صلّى ركعتين، وأبا بكر صلّى ركعتين، فقال: بلى! وأنا أُحدِّثكموها الآن،

ولكنَّ عثمان كان إماماً فما أخالفه، والخلافُ شرٌّ ».

وهو عند أبي داود (1960)، ورواه البيهقي مِن طريقه (3/143)، وفي إسناده مَـنْ أُبهـم، وعنـد البيهقي من طريقٍ أخرى فيها مَـن أُبهـم، وفيهـا: « قال: إنِّي أكـرهُ الخلافَ ». وإتمـامُ الصـلاة فـي السّفر خلافُ الأَوْلى، قد فعله ابـنُ مسـعود تركـاً لمخالفة عثمان.

وفي صـحيح البخـاري (956) ومسـلم (889) في قصَّـة بَـدْء مـرْوان بالخُطبـة يـومَ العيـد قبـل الصلاة، وإنكارِ أبي سعيد الخدري عليه ذلك، ذكـر الحافظ في الفتح (2/450) مِن فوائد الحديث: « جوازُ عمـل العـالم بخلاف الأَوْلـى إذا لـم يـوافقْه الحاكمُ على الأَوْلى؛ لأنَّ أبا سـعيد حضـر الخطبـةَ ولم ينصرفْ، فيُستدلُّ به على أنَّ البداءة بالصلاة فيها ليس بشرطٍ في صحَّتِها، والله أعلم ».

وقـال الحـافظ ابـن رجـب فـي جـامع العلـوم والحكم (2/117):ـ « وأمَّا السمعُ والطاعةُ لـوُلاة أمور المسلمين، ففيها سعادةُ الدنيا، وبها تنتظـم مصالح العباد في معايشِهم، وبها يستعينون علـى إظهار طاعة ربِّهم ».

5 ـ مِن النُّصح للوُلاة الدعاءُ لهم وعدمُ الدعاء

عليهم، وهي طريقةُ أهل السـنَّة والجماعـة، قـال شيخُ الإسلام ابن تيمية فـي السياسـة الشـرعيَّة (ص 129):ـ « ولهذا كـان السَّـلَفُ كالفُضـيل بـن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كـان لنا دعوةٌ مجابةٌ لدعونا بها للسلطان ».

وقال الشيخ أبو محمـد الحسـن البربهـاري فـي كتابه شرح السنَّة (ص 116):ـ « وإذا رأيتَ الرَّجـلَ يدعو على السلطان فاعلم أنَّه صاحبُ هوى، وإذا رأيتَ الرَّجلَ يدعو للسلطان بالصّـلاح فـاعلم أنَّـه صاحبُ سنَّةٍ إن شاء الله، يقول فضيل بن عياض: لو كانت لي دعوةٌ ما جعلتُها إلاَّ في السلطان ».

ثمَّ أسند إلى فضيل قـولَه: « لـو أنَّ لـي دعـوةً مستجابةً ما جعلتُها إلاَّ في السلطان، قيل له: يـا أبا عليّ! فسِّرْ لنا هذا، قال: إذا جعلتُها في نفسي لم تعْدُنِي، وإذا جعلتُها في السلطان صلح، فصلح بصـلاحه العبـادُ والبلاد، فأُمرنـا أن نـدعوَ لهـم بالصَّلاح، ولم نؤمر أن نـدعو عليهـم، وإن ظلمـوا وإن جاروا؛ لأنَّ ظلمَهم وجـورَهم علـى أنفسـهم، وصلاحَهم لأنفسهم وللمسلمين ».

وقـال الطحـاوي فـي عقيـدة أهـل السـنَّة والجماعة: « ولا نـرى الخـروجَ علـى أئمَّتِنـا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهـم، ولا نَنْـزِعُ يـداً

مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِـن طاعـة اللـه عـزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصـيةٍ، ونـدعو لهـم بالصّلاح والمعافاة ». العقيدة مع شرحها لابن أبي العزّ (ص 540).

وقال الشيخ أبو إسماعيل الصابوني في كتــابه عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص 92 ـ 93): « ويرى أصحاب الحديث الجمعةَ والعيدين وغيرهما مِن الصلوات خلف كلِّ إمامٍ مسـلمٍ، بـرًّا كـان أو فـاجرًا، ويـرون جهـادَ الكفـرة معهـم وإن كـانوا جــوَرَةً فجَــرةً، ويــرون الــدعاءَ لهــم بالإصــلاح والتوفيق والصّلاح وبسط العدل في الرَّعيَّة ».

6 ـ إذا حصل مِن وُلاة الأمر فسقٌ أو جَـورٌ فلا يجوز الخروجُ عليهـم؛ لأنَّـه يـترتَّب علـى الخـروج عليهم مِنَ الفوضى والفساد أضـعاف مـا يحصـل مِن الجور، ولا يجوز الخروجُ عليهـم إلاَّ إذا حصـل منهم كفرٌ واضـحٌ بيِّـنٌ، وقـد دلَّ علـى ذلـك سـنَّةُ رسولِ الله ﷺ وعملُ السلف الصالح، ومِـن ذلـك ما رواه البخاري (7055) ومسـلم (1709) عـن عبادة بن الصامت ﷺ قال: بايعَنا رسول اللــه ﷺ علــى السَّــمع والطَّاعــة فــي مَنشَــطِنا ومَكرَهِنــا وعُسرِنا ويُسرِنا، وأثرَةٍ علينـا، وأن لا نُنـازع الأمـرَ أهلَه، إلاَّ أن ترَوا كفراً بَواحاً عندكم مِن الله فيــه

بُرْهانٌ ».

وروى مسلم في صحيحه (1855) عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: « خيارُ أئمَّتكم الذين تحبُّونهم ويحبّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم، وشِرارُ أئمَّتكم الذين تُبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذُهم عند ذلك؟ قال: لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا! ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَن ولِيَ عليه والٍ، فرآه يأتِي شيئاً مِن معصيةٍ، فليكره ما يأتِي مِن معصية الله، ولا ينزعنَّ يداً مِن طاعةٍ ».

وروى مسلم (1854) عن أمّ سلمة رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: « إنَّه يُستعمل عليكم أُمراءُ، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئَ، ومَن أنكر فقد سلِم، ولكن مَن رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله! ألا نقاتلُهم؟ قال: لا! ما صلّوا ».

وروى البخاري (7054) ومسلم (1849) عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النَّبيِّ ﷺ قال: « مَن رأى مِن أميره شيئاً يكرهُه فليصبر عليه؛ فإنَّه مَن فارق الجماعةَ شبرًا فمات إلاَّ مات مِيتةً جاهليّة ».

قال الحافظ في شرحه (13/7)ـ « قال ابن أبي جمرة: المرادُ بالمفارقة السعيُ في حلّ عقد البيعة التي حصلتْ لذلك الأمير ولو بأدنى شيء، فكنَّى عنها بمقدار الشِّبر؛ لأنَّ الأخذَ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حقٍّ ».

وقال الإمام أحمد في اعتقاده كما في السنَّة للالكائي (1/161): « ولا يحلُّ قتالُ السلطان ولا الخروجُ عليه لأحدٍ مِن النَّاس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنَّة والطريق ».

ومرَّ قريباً قولُ الطحاوي: « ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنا ووُلاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا نَنْزِعُ يداً مِن طاعتهم، ونرى طاعتَهم مِن طاعة الله عزَّ وجلَّ فريضة، ما لم يأمروا بمعصيةٍ، وندعو لهم بالصّلاح والمعافاة ».

وقال الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص 93)ـ « ولا يرون الخروجَ عليهم بالسيف، وإن رأوا منهم العدولَ عن العدل إلى الجور والحيف ».

ومِن قواعد الشريعة ارتكابُ أخفِّ الضررين في سبيل التخلُّص مِن أشدِّهما، قال ابنُ القيّم في كتاب إعلامُ الموقِّعين (3/15): « إنَّ النَّبيَّ ﷺ

شرع لأمَّته إيجاب إنكار المنكـر ليحصـل بإنكـاره مِن المعروف م ا يحبُّـه اللـهُ ورسـولُه، فـإذا كـان إنكارُ المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلــى الله ورسوله، فإنَّه لا يسوغ إنكارُه، وإن كان اللــهُ يُبغضُه ويمقتُ أهلَه، وهذا كالإنكـار علـى الملـوك والـولاة بـالخروج عليهـم؛ فـإنَّه أسـاسُ كـلِّ شـرٍّ وفتنةٍ إلى آخر الدهر ».

وما أحسنَ وأجملَ قولَ عبـد اللـه بـن مسـعود ﷺ: « تكون أمورٌ مشتبهاتٌ، فعليكم بالتؤدة؛ فـإنَّ أحدَكم أن يكون تابعاً في الخير خيرٌ مِن أن يكــون رأسـاً فـي الشـرِّ » رواه الـبيهقي فـي الشـعب (7/297).

* * *

28 ـ قوله: « **واتِّباعُ السلف الصّالح واقتفـاءُ آثارهم والاستغفارُ لهم** ».

الخيرُ كلُّ الخيـر والسـعادةُ كـلُّ السـعادة فـي اتِّباع ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ومَـن تبعهـم بإحسـان، وقـد أخـبر النَّبِـيُّ ﷺ عـن افتراق هذه الأمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فِرقـةٍ، كلُّهـا في النَّار إلاَّ واحدة، قيل: مَن هي يا رسول الله ؟ قال: « هي الجماعة »، وقد مـرَّ ذلـك، ومـرَّ أيضـاً

قولُ النَّبِيِّ ﷺ فـي حـديث العربـاض بـن سـارية: ((... فإنَّه مَن يعش منكم بعدي فسـيرى اختلافـاً كثيراً، فعليكـم بسُـنَّتِي وسُـنَّة الخلفـاء المهـديين الراشدين، تَمسَّكوا بها، وعضُّـوا عليهـا بالنواجـذ، وإيَّاكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كـلَّ محدثـة بدعـة، وكلَّ بدعة ضلالة)).

ومرَّ أيضاً قولُ مالكٍ رحمـه اللـه: ((لـن يصلُح آخرُ هذه الأمَّة إلاَّ بما صلح به أوَّلُها)).

وقال الإمام أحمـد فـي أوّل اعتقـاده كمـا فـي السنَّة للالكائي (1/156)ـ: ((أصولُ السنَّة عنـدنا التمسُّكُ بما كـان عليـه أصحابُ رسـول اللـه ﷺ والاقتـداءُ بهـم، وتـركُ البـدع، وكـلُّ بدعـةٍ فهـي ضلالةٌ، وتركُ الخصومات والجلوسِ مـع أصحاب الأهواء، وتـركُ المـراء والجـدال والخصـومات فـي الدِّين)).

وقد أثنى اللـهُ علـى مَـن جـاء بعـد المهـاجرين والأنصار، مستغفراً لهم سائلاً اللهَ ألاَّ يجعل فـي قلبه غِلاًّ للمؤمنين، فقـال: [illegible]

قالت عائشة رضي اللـه عنهـا فيمَـن نـال مِـن بعض الصـحابة: ((أُمـروا أن يسـتغفروا لأصـحاب النَّبِيِّ ﷺ فسبُّوهم)) أخرجه مسلم (3022).

وقال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وقال عبد الله بن مسـعود ﵁ كمـا فـي جـامع بيان العلم وفضله لابن عبد الـبر (2/97):ـ ((مَـن كان منكـم متأسِّـياً فليتـأسَّ بأصـحاب محمـد ﷺ؛ فإنَّهم كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قلوبـاً، وأعمقَهـا علمـاً، وأقلَّها تكلُّفاً، وأقومَها هدياً، وأحسنَها حـالاً، قومـاً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيِّه ﷺ، فاعرفوا لهـم فضلَهم، واتَّبعوهم في آثارهم؛ فـإنَّهم كـانوا علـى الهدي المستقيم)).

وقـال أيضـاً كمـا فـي سـنن الـدارمي (211): ((اتَّبعوا ولا تبتدعوا؛ فقد كُفيتم)).

وفي سنن الدارمي أيضـاً (141) عـن عثمـان بن حاضر، قال: ((دخلتُ على ابن عباس، فقلت: أَوْصـني، فقـال: نعـم! عليـك بتقـوى اللـه والاستقامة، اتَّبع ولا تبتدع!)).

وفيه أيضاً (142) عن ابن سيرين قال: « كانوا يرون أنَّه على الطريق ما كان على الأثر ».

وفيه أيضاً (144) عن ابن مسعود ﷺ قال: « تعلَّموا العلمَ قبل أن يُقبض، وقبضُه أن يذهب أهلُه، ألا وإيّاكم والتَّنطُّع والتَّعمُّق والبدع، وعليكم بالعتيق ».

والمراد بالعتيق ما دلَّ عليه دليلٌ، وكان عليه السلف، ولم يكن محدَثاً.

وفي كتاب السنَّة لمحمد بن نصر المروزي (80) أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ قال: « إنَّكم اليوم على الفطرة، وإنَّكم ستحدثون ويُحدث لكم، فإذا رأيتم محدَثةً فعليكم بالهَدي الأوَّل ».

وفيه أيضاً (87) أنَّ حذيفة بن اليمان ﷺ قال: « يا معشر القرّاء! اسلكوا الطريق؛ فوالله! لئن سلكتموه لقد سبقتم سبقاً بيِّناً، وإن أخذتم يميناً وشِمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً ».

وفيه أيضاً (100) عن أبي الدرداء ﷺ قال: « اقتصادٌ في سنّة خيرٌ مِن اجتهادٍ في بدعةٍ، إنَّك إنْ تتَّبعْ خيرٌ مِن أنْ تبتدع، ولن تخطئَ الطريقَ ما اتَّبعْتَ الأثرَ ».

وفيه أيضاً (94)ـ « أنَّ عمر بن عبد العزيز كتب إلى النَّاس أنَّه لا رَأْيَ لأحدٍ مع سنَّةٍ سنَّها رسول الله ﷺ ».

وفيه (110)ـ عن عروة بن الزبير أنَّه قال: « السنن! السنن! فإنَّ السننَ قوامُ الدِّين ».

ولقد أحسن مَن قال:

دِينُ النَّبِيِّ محمَّد أخبارُ ... نِعم المطيَّةُ للفتَى آثارُ
لا ترْغبنَّ عن الحديث وأهله ... فالرَّأْيُ ليلٌ والحديثُ نَهَارُ
ولرُبَّما جهل الفَتَى أثرَ الهُدى ... والشَّمسُ بازغةٌ لَها أنوارُ

وقال آخر وأحسن فيما قال:

الفقهُ في الدِّين بالآثار مقترنٌ ... فاشغل زمانك في فقهٍ وفي أثرِ
فالشغلُ بالفقه بقاصد الله فوق ... والآثار مرتفعٌ الشَّمس والقمرِ

* * *

29 ـ قوله: « **وتركُ المراء والجدال في**

الدِّين)).

طريقةُ أهل السنَّة والجماعة اتِّباعُ الكتاب والسنَّة، والاستسلامُ والانقيادُ لنصوصهما، بخلاف غيرهم مِمَّن يعوِّل على العقول، ويتَّهم النُّقولَ، ويجادل بالباطل ليدحض به الحقَّ.

وقد جاءت الأدلَّةُ من الكتاب والسنَّة في التحذير مِن ذلك، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾، وقال: ﴿ [illegible] ﴾.

وروى البخاري (2457) ومسلم (2668) عن عائشة رضي الله عنها عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((إنَّ أبغضَ الرِّجال إلى الله الألدُّ الخَصِم)).

قال الحافظ في شرحه (8/188): ((أي الشديد اللّدد الكثيرُ الخصومة)).

وذكر في (13/181) أنَّ المرادَ به الكافر أو

مَن خاصم بباطل مِن المسلمين.

وقال ﷺ: ((ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلاَّ أوتوا الجدلَ، ثمَّ تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿ ﴾)) رواه الترمذي (3253)، وقال: ((هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ)).

وروى مسلم في صحيحه (2666) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: ((هجَّرتُ إلى رسول الله ﷺ يوماً، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله يُعرف في وجهه الغضبُ، فقال: إنَّما هلك مَن كان قبلكم باختلافهم في الكتاب)).

وروى ابن ماجه (254) عن جابر بن عبد الله أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: ((لا تعلَّموا العلمَ لتباهوا به العلماء، ولا لتُماروا به السفهاء، ولا تخيَّروا به المجالس، فمَن فعل ذلك فالنَّار النَّار)).

قال ابن أبي العزّ الحنفي في شرح قول الطحاوي (ص 427): ((ولا نُماري في دين الله))، قال: ((معناه لا نخاصمُ أهلَ الحقّ بإلقاءِ شبُهات أهلِ الأهواء عليهم؛ الْتماساً لامترائهم ومَيْلِهم؛ لأنَّه في معنى الدعاءِ إلى الباطل وتلبيسِ الحقّ

وإفسادِ دين الإسلام)).

ومِن طريقة أهل الزَيغ والضلال الجدالُ بالباطل واتِّباعُ ما تشابه مِن القرآن، بخلاف طريقةِ أهلِ الحقّ، الذين يؤمنون بالمُحكَم والمتشابه ويردُّون المتشابه إلى المُحكَم، قال الله عزَّ وجلَّ: [illegible].

وروى البخاري (4547) ومسلم (2665) عن عائشة أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلا قولَه تعالى: [illegible] الآية، فقال: ((إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللهُ، فاحذَرُوهم)).

وفي سنن الدارمي (406) عن أبي جعفر

محمد بن عليّ الباقر قال: ((لا تُجالسوا أصحابَ الخصومات؛ فإنَّهم الذين يخوضون في آيات الله)).

وفي جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (1/134) عن مالكٍ قال: ((المِراءُ يُقسِّي القلبَ ويُورث الضِّغن)).

وقال عمر بن عبد العزيز كما جامع بيان العلم وفضله (2/93): ((مَن جعل دينَه غرَضاً للخصومات أكثرَ التَّنقُّلَ)).

وأمَّا المجادلةُ بالتي هي أحسن لإظهار الحقّ وردِّ الباطل فذلك حقٌّ، وقد أمر اللهُ به في قوله: [illegible]، وقال: [illegible].

وقد عقد ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله باباً مِن (ص 92 ـ 99) لِما تُكرَه فيه المناظرةُ والجدالُ والمِراءُ، وباباً من (ص 99 ـ 108) لإثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجَّة، أورد فيهما جملةً مِن النُّصوص والآثار في ذلك.

30 ـ قــوله: ((**وتركُ ما أحـدثه المُحـدِثون، وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمَّد نبيِّه، وعلــى آلِه وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، وسلَّم تسليماً كــثيراً))**.

لَمَّا بيَّن ابنُ أبي زيـد ـ رحمـه اللـه ـ أنَّ طريقـةَ أهــل الســنَّة والجماعــة اتِّبَــاعُ السَّــلف الصّــالح واقتفـاءُ آثـارهم والاسـتغفارُ لهـم، وتـركُ المِـراء والجدالِ في الدِّين، عقَّب ذلك ببيان أنَّ طريقتَهم تركُ ما أحدثه المُحـدِثون، أيْ ابتـدعه المبتـدعون في دين الله، وقد جاءتْ أدلَّةٌ في الكتاب والسـنَّة وآثـار السّـلف الصّـالح فـي التّحـذير مِـن البـدع والمحـدثات، قـال اللـهُ عـزَّ وجـلَّ: [illegible]، وقـال: [illegible]، وقـال ﷺ فـي الحديث المتَّفق على صحّته عـن عائشـة رضـي الله عنها: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ))، وفي لفـظ لمسـلم: ((مَـن عمـل عملاً

ليـــــــس عليـــــــه أمرُنـــــــا فهـــــــو ردٌّ)).

وقال ﷺ في آخر حـديث العربـاض بـن سـارية وقـد مـرَّ ذكـرُه فـي الفائـدة الأولـى: ((وإيَّـاكم ومحدثات الأمـور؛ فـإنَّ كـلَّ محدثـة بدعـة، وكـلَّ بدعة ضلالة)).

ومـرَّ أيضـاً حـديثُ جـابرٍ فـي صـحيح مسـلم (767) أنَّ رسول اللـه ﷺ كـان يقـول فـي خطبـة الجُمعة: ((أمَّا بعد، فإنَّ خيرَ الحديث كتـابُ اللـه، وخيرَ الهَدي هَديُ محمَّد، وشـرَّ الأمـور محـدَثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة)).

ومرَّ أيضاً في آخر الحديث الطويل عـن أنـس: ((فمَن رغِب عن سنَّتي فليس منِّي)).

وقـال ﷺ: ((إنَّ اللـهَ حجـب التَّوبـةَ عـن كـلِّ صاحب بدعةٍ حتى يـدَعَ بـدعتَه))، قـال المنـذري: ((رواه الطـبراني وإسـناده حسـن)) كمـا فـي الترغيب والترهيب (1/65)، وصحّحه الألباني في صحيح الترغيب (52).

ومرَّ في الفقرة الأولى مِن فقرات هذا الشرح حـديثُ قصّـة الصـحابي الـذي ذبـح أضـحيتَه قبـل صلاة العيد، وقـال لـه ﷺ: ((شـاتُك شـاةُ لحـمٍ))،

وأثرُ ابن مسعود ﷺ، الذي أنكر فيه على الذين يُسبِّحون بالحصى، وقال: ((فعُدوا سيِّئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يَضيعَ من حسناتكم شيءٌ)).

وفي كتاب السنّة لمحمد بن نصر المروزي (82) عن عبد الله بن عمر قال: ((كلُّ بدعة ضلالة وإن رآها النّاسُ حسنة)).

وذكر الشاطبي في الاعتصام (1/28) أنَّ ابن الماجشون قال: سمعتُ مالكاً يقول: ((مَن ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة، فقد زعم أنَّ محمّداً خان الرسالة؛ لأنَّ اللهَ يقول: [illegible] ، فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً)).

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم (10/244) قال أبو عثمان النيسابوري: ((مَن أمَّر السنَّةَ على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومَن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة)).

وقال سهل بن عبد الله التستري كما في فتح الباري (13/290): ((ما أحدث أحدٌ في العلم شيئاً إلاَّ سُئل عنه يوم

القيامة، فإن وافق السنَّة سلِمَ، وإلاَّ فلا)).

وقال ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (2/95):ـ ((أجمع أهلُ الفقه والآثار مِن جميع الأمصار أنَّ أهلَ الكلام أهلُ بدَع وزيغ، ولا يُعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنَّما العلماء أهلُ الأثر والتفقُّه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز)).

وما أحسن ما قاله الإمام بن الإمام عبد الله بن أبي داود السجستاني في مطلع منظومته الحائية:

تمسَّكْ بحبل الله ولا تكُ بدعيًّا لعلَّك
واتَّبِع الهُدى تُفلحُ
ودِنْ بكتاب الله أتتْ عن رسول الله
والسنن التي تنجو وتربحُ

ومِن أعظم ما أحدثه المُحدِثون وابتدعه المبتدعون ما زعمه أحدُ النوابت في هذا العصر الذي مرَّ ذكرُه في بحثَيْ الحوض والصحابة مِن أنَّ الصحبةَ الشرعية مقصورةٌ على المهاجرين والأنصار قبل الحديبية، وأنَّ كلَّ مَن أسلم وهاجر بعد الحديبية أو لم يهاجر مِمَّن لقيَ النَّبِيَّ ﷺ أنَّه ليس مِن أصحابه، وأنَّ صحبَتَهم كصحبة

المنافقين والكفّار وفي مقدِّمَتهم العباسُ بن عبد المطّلب وابنه عبد الله رضي الله عنهما، وهي بدعةٌ ضلالةٌ لم يُسبق إليها خلال القرون الماضية، وفي المثل « كم ترك الأوَّلُ للآخر » فكم ترك الأوَّلُ مِن المبتدعة للآخر منهم، فقد تركوا له هذه البدعة، فظفر بها، وعليه وِزرُها ومثلُ أوزار مَن ابتُلي بها من بعده.

وقد ختم ابنُ أبي زيد ـ رحمه الله ـ مقدِّمةَ رسالته بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وهي طريقةٌ متَّبعةٌ، سلكها بعضُ المؤلِّفين، فختموا مؤلفاتهم بالصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

وكان الفراغُ مِن تأليف هذا الشرح في صباح الخميس، الموافق للثامن مِن شهر جمادى الأولى مِن عام 1423هـ.

والحمدُ لله أوّلاً وآخراً على نِعمه الظاهرة والباطنة، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا وإمامنا محمد ومَن سلك سبيله واهتدى بِهَديه إلى يوم الدِّين.

* * *

*

فهرس الموضوعات

المقدمة.....5
ترجمة ابن أبي زيد القيرواني.....10
عشر فوائد بين يدي الشرح:
1 ـ منهج أهل السنَّة والجماعة في العقيدة اتِّباع الكتاب والسُّنَّة على فهم السلف
الصالح.....11
2 ـ وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة بين فرق الضلال.....20
3 ـ عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة مطابقة للفطرة....24
4 ـ الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، والقول في بعض الصفات
كالقول في البعض الآخر.....26
5 ـ السَّلف ليسوا مؤوِّلة ولا مفوِّضة.....27
6 ـ كلٌّ من المشبِّهة والمعطِّلة جمعوا بين التمثيل والتعطيل.....28
7 ـ متكلِّمون يذمُّون علمَ الكلام ويُظهرون الحيرة والنَّدم.....30
8 ـ هل صحيح أنَّ أكثر المسلمين في هذا العصر

أشاعرة؟.....35
9 ـ عقيدة الأئمَّة الأربعة ومَن تفقَّه بمذاهبهم.....36
10 ـ التأليف في العقيدة على منهج السَّلف.....41
نصُّ مقدِّمة الرسالة.....44
نظم مقدّمة الرسالة للشيخ أحمد بن مشرَّف الأحسائي المالكي.....49

أوَّل الشَّرح:

إثبات ألوهية الله عزَّ وجلَّ ونفي أمور سبعة يتضمَّن نفيُها إثبات كمال الله.....55
بيان أنواع التوحيد الثلاثة وتعريفها.....56
بيان اشتمال سورة الفاتحة والناس على أنواع التوحيد الثلاثة.....57
النسبة بين أنواع التوحيد الثلاثة.....58
العمل المقبول عند الله ما كان خالصاً ومطابقاً للسُّنَّة 59
شرح الأمور السبعة المنفية التي ذكرها المصنِّف.....61
من أسماء الله الأول والآخر.....64
شرح ((لا يبلغ كُنه صفته الواصفون)).....65
شرح ((ولا يحيط بأمره المتفكِّرون)).....66
شرح ((يعتبر المتفكِّرون في آياته)).....67
شرح ((ولا يتفكَّرون في ماهية ذاته)) 68
علم الغيب لله، وغيرُه لا يعلم منه إلاَّ ما علَّمه إيَّاه.....69

من صفات الله العلو والقدرة والسَّمع والبصر.....72
إثبات علو الله على عرشه بذاته.....74
إثبات صفة العلم لله وإحاطته بكلِّ شيء.....76
إثبات صفة استواء الله على عرشه، والرد على من تأوَّله بالاستيلاء.....79
أسماء الله وصفاته من علم الغيب، فلا يتكلَّم فيها إلاَّ بالوحي.....82
أسماء الله كلُّها حسنى وهي مشتقَّة.....82
أسماء الله غير محصورة بعدد.....84
سرد تسعة وتسعين اسماً مع ذكر أدلّتها.....85
من أسماء الله ما يُطلق على غيره ومنها ما لا يُطلق إلاَّ عليه.....92
الله متَّصف بصفات ومُتَسَمٍّ بأسماء أزلاً وأبداً.....93
إثبات صفة الكلام لله عزَّ وجلَّ وبيان أنَّه لا يتناهى.....94
الإيمان بالقدر وأدلَّته من الكتاب والسُّنَّة.....96
مراتب القدر: العلم والكتابة والإرادة والخلق والإيجاد 98
الإيمان بالقدر من الإيمان بالغيب ويُمكن معرفة المقدَّر بأمرين.....99
كلُّ ما هو كائن من خير وشر فبقضاء الله وقدره.....
100
مجيء الإرادة لمعنى كوني قدري ومعنى شرعي ديني
101

ما قدَّره الله وقضاه لا بدَّ من وقوعه.....
101
بيان معنى قول الله: ▯ ▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯ ▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯....
101
بيان معنى حديث: ((لا يرد القضاء إلاَّ الدعاء، ولا يزيد في العمر إلاَّ البر))....
102
لا يجوز الاحتجاج بالقدر على ترك مأمور ولا على فعل محظور.....
103
بيان معنى حديث محاجة آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام.....
103
أفعال العباد مخلوقة لله عزَّ وجلَّ، وتقع بمشيئتهم، والعبد مسيَّر مخيَّر.....
105
هداية المهتدين وضلال الضالِّين بقضاء الله وقدره.....
107
الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق.....
107
أعظم نعم الله على عباده إرسال الرسل وإنزال الكتب لهدايتهم.....

108
وجوب الإيمان برسل الله من قُصَّ علينا ومن لم يقصص
109
الفرق بين النَّبِيِّ والرسول.....
110
عموم رسالة نبيِّنا ﷺ، وأمَّتُه أمَّتان: أمَّة دعوة وأمَّة إجابة
111
علم قيام الساعة لله وحده.....
114
الساعةُ تُطلَق على الموت عند النفخ في الصور وعلى البعث.....
115
تقرير أمر البعث في القرآن يأتي ببيان ثلاثة أمور.....
116
البعثُ يكون بإعادة الأجساد التي كانت في الدنيا.....
118
من فضل الله مضاعفته للمؤمنين الحسنات.....
119
تكفير الكبائر بالتوبة منها، والفرقُ بين الصغيرة والكبيرة
120
تكفير الصغائر باجتناب الكبائر.....
122

من مات على كبيرة ولم يتب منها فأمرُه إلى الله.....
122
من عُذِّب بالنار من أهل الكبائر لا يُخلَّد فيها.....
123
الجنَّة والنَّارُ مخلوقتان موجودتان الآن، والردُّ على من
قال: إنَّهما لا يُخلقان إلاَّ يوم
القيامة.....
125
الجنَّةُ والنّار لا تفنيان ولا تبيدان.....
127
المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم عليه الصلاة والسلام
129
إثبات رؤية المؤمنين ربّهم في الدار الآخرة.....
129
إثباتُ صفة مجيء الله عزَّ وجلَّ لفصل القضاء بين العباد
131
عرض العباد على الله ومحاسبتهم على أعمالهم.....
132
إثبات وزن أعمال العباد.....
133
إثبات الصراط وعبور الخلق عليه.....
134

الإيمان بحوض نبيِّنا محمد ﷺ..... 136
بيان فساد مقالة أحد نوابت العصر أنَّ أكثر الصحابة يؤخذون إلى النار..... 137، 155، 187
الإيمانُ قولٌ واعتقادٌ وعمل..... 142
الذين قالوا: العمل غير داخل في مسمى الإيمان طائفتان 143
الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية..... 143
الفرق بين الإسلام والإيمان..... 144
لا يكفر أحد بذنب من أهل القبلة ما لم يستحلَّه..... 145
حياة الشهداء ونعيمهم..... 146
وصول النعيم للمؤمنين والعذاب للكافرين في القبور. 146
إثبات فتنة القبر وسؤال المَلَكين فيه..... 147
الإيمان بالملائكة.....

149
من الملائكة الحفظة والكَتَبة الذين يكتبون الحسنات والسيِّئات.....
150
من الملائكة الموكَّلون بقبض الأرواح.....
151
بيان مَن هم أصحاب رسول الله ﷺ.....
153
فضائل الصحابة في الكتاب والسنَّة.....
155
أفضل الصحابة الخلفاء الراشدون.....
157
ثبوت الإجماع على عدالة الصحابة.....
158
الواجب على المسلمين لأصحاب رسول الله ﷺ.....
161
السَّمع والطاعة لولاة الأمر من العلماء والأمراء.....
167
الطرق التي تتمُّ بها ولاية الأمر.....
168
النصح لولاة الأمور.....
170

السمع والطاعة للولاة إنَّما يكون في المعروف..... 173
الدعاء لولاة الأمور وعدم الدعاء عليهم..... 175
اتِّباع السَّلف واقتفاء آثارهم..... 179
ترك المراء والجدال في الدِّين..... 182
ترك البدع ومحدثات الأمور..... 184

* * *